الفصل الأول

الصحوة

الألم جاء أولًا.

ألم عميق في الصدر، كأن أحدًا سحب قلبه من مكانه ثم أعاده بقوة. ثم جاء الضوء... أبيض، قاسٍ، بلا رحمة. حاول شريف أن يغمض عينيه فلم يستطع. جفناه كانا ثقيلين كأنهما ملتصقان.

سمع أصواتًا بعيدة. خطوات. همسات. صفير أجهزة طبية خافت.

فتح عينيه أخيرًا.

السقف أبيض مصقول، نضيف بشكل يثير الغثيان بعد أسابيع من الغبار والدم والدخان. مصابيح طويلة تمتد فوقه، وضوءها بارد ومستقر. لم يكن هناك طنين محركات، ولا رائحة الأوزون المحروق، ولا زئير بعيد.

حاول أن يتحرك. وجد نفسه مستلقيًا على سرير معدني ضيق، متصلًا بأسلاك رفيعة وبقعة لاصقة على صدره. يده اليمنى كانت مقيدة بسوار بلاستيكي ناعم إلى حاجز السرير.

ـ لا تتحرك بسرعة.

الصوت جاء من اليمين. هادئ، حذر، ومألوف بشكل مرعب.

أدار شريف رأسه بصعوبة.

كان الرجل يجلس على كرسي معدني بسيط، على بُعد متر واحد فقط. شعر أسود فاحم، قصير ومرتب. وجه حاد الملامح، خالٍ من التجاعيد تقريبًا. وعينان رماديتان واسعتان... نفس العينين اللتين اعتاد أن يراهما في المرآة، وفي وجه أبيه طوال حياته.

لكن هذا الرجل كان أصغر من أبيه بأكثر من خمسة وعشرين عامًا.

شريف فتح فمه. الصوت خرج مبحوحًا ومكسورًا:

ـ أبي...؟

الرجل لم يبتسم. لم يتحرك. فقط مال قليلًا إلى الأمام، ووضع مرفقيه على ركبتيه، ونظر إليه نظرة طويلة باردة كأنها تزن كل تفصيلة في وجهه.

ـ أنا الدكتور عمر شوكت.

هذا مختبر الأبحاث المتقدمة... مجمع النيل المداري.

التاريخ اليوم هو الرابع عشر من مارس سنة 2099.

والسؤال هو: من أنت؟ وكيف دخلت إلى غرفة التجربة المغلقة أثناء التشغيل؟

شعر شريف أن الأرض تميد تحته رغم أنه مستلقٍ.

2099.

قبل انهيار كل شيء بأكثر من ثلاثمئة سنة.

قبل أن يُفتح الباب الذي ابتلعهم.

حاول أن يجلس. الألم في صدره اشتد، لكنه تجاهله. السوار البلاستيكي شدّ على معصمه.

ـ أنا... شريف شوكت.

ابنك.

من سنة... من المستقبل الذي ستصنعه أنت بنفسك.

سكت الرجل الشاب لحظة طويلة. لم يبدُ عليه الصدمة بالطريقة المتوقعة. فقط ضاقت عيناه قليلًا، وتغير إيقاع تنفسه للحظة واحدة.

ثم قال بصوت أكثر انخفاضًا:

ـ هذا الادعاء... إما أن يكون هذيانًا ناتجًا عن التعرض للإشعاع أو الطاقة غير المستقرة،

أو أنك جندي من جهة معادية اخترق منشأتنا.

في الحالتين، أنت الآن تحت المراقبة الأمنية الكاملة.

نهض من كرسيه. كان أطول قليلًا مما يتذكر شريف أباه، أو ربما كانت الذاكرة تخدعه. سار نحو باب الغرفة، ثم توقف عند العتبة دون أن يلتفت.

ـ الأطباء سيأتون خلال دقائق.

إذا كانت لديك معلومات حقيقية... فستتحدث.

وإذا كنت تكذب... فستكتشف ذلك بسرعة.

خرج. أغلق الباب خلفه بهدوء. سمع شريف صوت قفل إلكتروني ينغلق، ثم خطوات تبتعد في الممر.

بقي وحيدًا.

رفع رأسه ونظر إلى السوار البلاستيكي على معصمه، ثم إلى السقف الأبيض النظيف، ثم إلى النافذة الصغيرة في الجدار المقابل. من خلالها ظهرت سماء زرقاء صافية، وأبراج مدينة لم تُدمَّر بعد تتلألأ في الأفق البعيد.

عالم ما زال سليمًا.

عالم لم يعرف بعد طعم الرماد والديناصورات والبطاقات البلاستيكية المؤرخة بـ 2412.

همس شريف لنفسه بصوت أجشّ، كأنه يؤكد حقيقة لا يريد تصديقها:

ـ وصلت...

لكنني وصلت وحدي.

وفي مكان ما خلف الباب المقفل، كان عمر الشاب يقف في الممر، ظهره إلى الحائط، يتنفس ببطء ويحاول أن يطرد من رأسه ملامح ذلك الشاب الذي يشبهه أكثر مما ينبغي...

ويشبه امرأة كان يحبها ذات يوم أكثر مما ينبغي.

هل تريد الفصل المقابل مباشرة (خط عمر ونانسي وأيمن في 2412)، أم نكمل بفصل شريف الثاني؟

الفصل الأول (المقابل)

الصمت بعد الاختفاء

مرّت ثلاثة أيام كاملة منذ انغلق الممر.

ثلاثة أيام من الصمت الثقيل الذي لم يكن صمتًا حقيقيًا. كان هناك دائمًا صوت الرياح وهي تصفر بين الصخور، وزئير بعيد متقطع يهز الصدر من الداخل، وطنين أنظمة المركبة التي تعمل بالحد الأدنى من الطاقة. لكن داخل «الرازي-1» كان الصمت من نوع آخر... صمت الفراغ الذي تركه شريف خلفه.

جلس الدكتور عمر على حافة الهضبة، في المكان نفسه الذي اعتاد أن يجلس فيه بعد الغروب. ركباه مثنيتان، ويداه متشابكتان أمامه، وعيناه ثابتتان على الأفق الرمادي. لم يعد السماء زرقاء صافية كما كانت في الأيام الأولى. صارت تميل إلى الرمادي الفاتح معظم الوقت، كأن التموجات التي أطلقوها تركت أثرًا دائمًا في الغلاف الجوي.

خلفه مباشرة، كانت نانسي تجلس القرفصاء أمام لوحة مراقبة صغيرة ربطتها بمجموعة من المستشعرات الجديدة. كانت أصابعها تتحرك بسرعة ودقة، لكنها كانت تتوقف بين الحين والآخر وتنظر إلى المقعد الفارغ الذي اعتاد شريف أن يجلس عليه.

داخل المركبة، كان أيمن مستلقيًا على السرير المرتجل، الكتف والبطن ملفوفين بضمادات نظيفة نسبيًا. كان واعيًا معظم الوقت الآن، لكنه يتكلم قليلًا. كلما حاول أحدهم أن يسأله عن الألم، كان يهز رأسه مرة واحدة فقط ويقول:

ـ سأعيش.

اهتموا بما هو أهم.

في صباح اليوم الرابع، نهض عمر أخيرًا وعاد إلى المركبة. وجد نانسي وأيمن ينتظرانه في المقصورة الرئيسية. لم يطلب منهما أن يجتمعا. هما من قررا ذلك.

قال بصوت خافت كأنه يخشى أن يكسر شيئًا هشًا:

ـ المختبر انهار بالكامل.

لا تبقى منه شيء يمكن إصلاحه أو استخدامه.

الباب... أُغلق.

سكتت نانسي لحظة، ثم قالت وهي تنظر إلى يديها:

ـ هل تعتقد أنه ما زال حيًا؟

هز عمر رأسه ببطء:

ـ أشعر بذلك.

لكن الشعور ليس دليلًا.

كل ما نعرفه أنه اختفى داخل ممر غير مستقر، موجّه إلى زمن سابق لمشروع أورفيوس.

إن نجا... فهو هناك.

وإن لم ينجُ... فقد دفع الثمن الذي كان يجب أن أدفعه أنا.

رفع أيمن رأسه عن الوسادة بصعوبة. صوته جاء مبحوحًا لكنه حاسم:

ـ إذن نقرر الآن.

إما أن نجلس هنا ننتظر معجزة لن تأتي،

أو نبدأ في بناء شيء يمكن أن يعيش فيه من بقي منا.

نظر عمر إلى ابنته. كانت عيناها محمرتين من قلة النوم، لكن نظراتها ثابتة. أومأت برأسها مرة واحدة.

ـ نبني.

ليس لأننا نسينا…

بل لأننا لا نملك خيارًا آخر.

خرج الثلاثة معًا في ذلك الصباح.

أيمن يتكئ على عكاز مرتجل صنعوه من قضيب معدني، وعمر ونانسي يحملان الأدوات. بدأوا بتعميق الخندق حول المركبة، وإعادة زراعة المستشعرات، وجمع الحجارة الكبيرة لبناء سور أولي.

بينما كانوا يعملون، رفعت نانسي رأسها فجأة ونظرت نحو البركة الشرقية البعيدة. همست كأنما تحدث أحدًا لا يراه أحد غيرها:

ـ إن كنت ما زلت تسمعنا…

فنحن هنا.

ولن نرحل.

لم يجبها أحد.

فقط الرياح حملت صوتها بعيدًا نحو الغابة، حيث كانت ظلال التيروداكتيلات تحلق كالعادة، وحيث كان عالم 2412 يستمر في الدوران…

بدون شريف.

وفي تلك الليلة، عندما جلس الثلاثة داخل المركبة حول مصباح واحد خافت، لم يتكلم أحد عن الماضي القريب.

تحدثوا عن الغد فقط.

عن السور.

عن الماء.

عن الطعام.

وعن كيف يمكن لأربعة أن يصبحوا ثلاثة…

ويبقوا على قيد الحياة.

الصمت بعد الاختفاء

كان قد بدأ يتحول

إلى شيء آخر.

إلى قرار.

هل ننتقل إلى الفصل الثاني من أحد الخطين، أم تريد تعديلًا على هذا الفصل أولًا؟

الفصل الثاني

الاعتراف

مرّت اثنتا عشرة ساعة قبل أن يعود عمر الشاب.

دخل الغرفة برفقة رجلين ببدلات رمادية داكنة، أحدهما يحمل جهازًا لوحيًا والآخر يقف قرب الباب ويداه خلف ظهره. كان الضوء ما يزال أبيض وباردًا، والسوار البلاستيكي ما يزال على معصم شريف.

جلس عمر على الكرسي نفسه مرة أخرى، لكن هذه المرة وضع الجهاز اللوحي على ركبتيه وفتح ملفًا.

ـ الفحوصات الأولية انتهت.

لا آثار لمواد متفجرة أو أجهزة تجسس معروفة.

لكن قراءات الطاقة حول جسدك... غير طبيعية. بقايا إشعاعية وطيفية لا تتطابق مع أي شيء نعرفه في هذا المجمع.

رفع عينيه إلى شريف:

ـ الآن نتكلم بوضوح.

أنت تدعي أنك ابني من المستقبل.

هذا الادعاء إما هذيان أو أكبر خرق أمني في تاريخ المشروع.

في الحالتين، أريد التفاصيل. كلها.

شريف نظر إلى الرجلين عند الباب، ثم إلى أبيه الشاب. شعر أن حلقه جاف تمامًا. طلب ماءً. أحضروا له كوبًا بلاستيكيًا باردًا. شرب نصفَه قبل أن يبدأ.

ـ اسمي شريف عمر شوكت.

ولدت سنة 2196 في محطة الفضاء المدارية «ابن سينا».

أمي توفيت وأنا في السابعة.

عشت معظم حياتي مع أبي... معك... على متن سفن الاستكشاف.

قبل أسابيع قليلة من وصولي إلى هنا، كنا على متن المركبة «الرازي-1» في مهمة روتينية عند كويكب أدونيس.

توقف لحظة. كان عمر الشاب يكتب ملاحظات بسرعة دون أن يرفع رأسه.

ـ الكويكب انفجر.

لم يكن انفجارًا نوويًا عاديًا. كان تموجًا زمنيًا.

انتقلنا... أو أُلقينا... إلى سنة 2412.

وجدنا الأرض خرابًا. الحضارة انهارت. الديناصورات عادت... ليست طبيعية كلها. بعضها ناتج عن هندسة وراثية عكسية.

وجدنا بقايا مختبراتكم. تسجيلات. بطاقات هوية مؤرخة بـ 2412.

واكتشفنا أن كل شيء بدأ من هنا. من مشروع أورفيوس الذي تعمل عليه الآن.

سكت. انتظر.

عمر الشاب رفع رأسه أخيرًا. وجهه لم يتغير كثيرًا، لكن عينيه صارتا أضيق.

ـ مشروع أورفيوس سري للغاية.

كيف تعرف اسمه؟

ـ لأنك أنت من أخبرني به... في المستقبل.

بعد أن وصلنا إلى 2412، وبعد أن رأينا نتائج ما فعلتموه.

قلتَ لنا إنك شاركت في مراحله الأولى، وإن المشروع أُغلق رسميًا ثم أُعيد فتحه لاحقًا تحت اسم أورفيوس الثاني، وصار أكبر وأخطر، وانتهى بتدمير كل شيء.

الرجل عند الباب تحرك خطوة إلى الأمام، لكن عمر أشار له أن يبقى مكانه.

ـ افترض جدلًا أن ما تقوله صحيح.

لماذا أرسلك المستقبل إلى هنا؟ لماذا أنت وحدك؟

شريف نظر إلى السوار على معصمه، ثم رفع عينيه مباشرة إلى الرجل الذي كان أباه وسيكون أباه:

ـ لأن الممر كان غير مستقر.

ولأنني... اخترت أن أوجه إلى ما قبل أن تبدأ الكارثة.

جئت لأوقفكم.

قبل أن تزرعوا البذرة التي ستأكل العالم بعد ثلاثمئة سنة.

ساد صمت طويل داخل الغرفة البيضاء.

عمر الشاب أغلق الجهاز اللوحي ببطء، ووضعه جانبًا، وشبك أصابعه أمامه. كان ينظر إلى شريف كأنه يراه للمرة الأولى حقًا... أو كأنه يحاول أن يجد في ملامحه أثرًا لامرأة كان يحبها.

أخيرًا قال بصوت منخفض جدًا:

ـ إذا كنت تكذب... فأنت أخطر مخادع رأيته في حياتي.

وإذا كنت صادقًا...

فأنت أخطر حقيقة قد نواجهها.

نهض. سار نحو الباب، ثم توقف دون أن يلتفت:

ـ ستبقى هنا تحت المراقبة المشددة.
لا اتصال خارجي. لا زيارات.
وسأتخذ قرارًا خلال ثمانٍ وأربعين ساعة...
إما أن أصدقك،
أو أن أسلمك إلى الأمن الداخلي كتهديد وجودي.

خرج. أغلق الباب. انغلق القفل الإلكتروني مرة أخرى.

شريف استلقى على ظهره وحدّق في السقف الأبيض.
كان قلبه يضرب بقوة مؤلمة.
لكنه ابتسم ابتسامة صغيرة مرة.

على الأقل...
سمعوه.
ولو للحظة.

هل تريد الفصل المقابل (الفصل الثاني من خط 2412 – التحصين) مباشرة؟

الفصل الثاني (المقابل)
التحصين

بدأ العمل قبل شروق الشمس.

كان أيمن أول من خرج، متكئًا على العكاز المعدني، وجهه شاحبًا لكن عينيه حادتين كالعادة. خلفه جاء عمر يحمل صندوق الأدوات، ثم نانسي التي كانت قد أعدّت قائمة بالمهام منذ الليلة السابقة.

قال أيمن وهو يتوقف عند حافة الخندق القديم:

ـ الخندق ضحل جدًا. أي تيرانوصور يافع يستطيع تجاوزه.

نحتاج إلى عمق مترين على الأقل، وعرض ثلاثة أمتار، مع سياج من الأشواك أو الحجارة المدببة في القاع.

أومأ عمر. لم يناقش. بدأ يحفر.

قضوا اليوم بطوله في العمل الصامت تقريبًا. نانسي تولت قياس المسافات وتثبيت المستشعرات الحرارية والحركية الجديدة التي استخرجوها من مخزن المركبة. عمر وأيمن كانا يحفران وينقلان الحجارة الكبيرة لبناء سور دائري أولي حول المركبة على مسافة أربعين مترًا.

مع حلول الظهيرة، ظهرت المجموعة الأولى من الناجين.

كانوا ستة هذه المرة، يقفون على تلة منخفضة شمالي الهضبة، يراقبون من بعيد. لم يقتربوا. لم يرفعوا أسلحة. فقط راقبوا لأكثر من ساعة ثم اختفوا بين الأشجار كما جاؤوا.

همس أيمن وهو يمسح العرق عن جبينه:

ـ هم يختبروننا. يرون إن كنا سنطاردهم أو نتجاهلهم أو نطلق النار.

رد عمر وهو يرمي حجرًا كبيرًا في مكانه ضمن السور:

ـ نتجاهلهم الآن.

لكننا نضاعف المستشعرات في الجهة الشمالية.

مع غروب الشمس، كان السور قد ارتفع إلى نصف متر في معظم الجهات، والخندق صار أعمق بوضوح. جلس الثلاثة داخل المركبة مرهقين، يتناولون كبسولات الطعام الباردة في صمت.

فجأة أصدر جهاز الإنذار صوتًا قصيرًا.

قفزت نانسي إلى الشاشة. ظهرت أربع نقاط حرارية بشرية تقترب ببطء من الجهة الغربية، حيث كان السور ما يزال ناقصًا.

قال أيمن بهدوء قاتل وهو يمد يده إلى المسدس:

ـ لا يطلق أحد النار إلا إذا تجاوزوا الخندق.

دعوهم يأتون.

خرج الثلاثة مسلحين. وقفوا خلف السور الناقص. بعد دقائق ظهرت الشخصيات الأربع: رجلان وامرأتان من قبيلة نهر الحجر الأسود. كانوا يحملون رماحًا، لكن الرماح كانت مرفوعة إلى أعلى في إشارة واضحة إلى عدم الرغبة في القتال.

توقفوا على مسافة عشرين مترًا. الرجل الأكبر سنًا (الرجل ذو الندوب الذي التقوه سابقًا) تقدم خطوة واحدة وقال بصوت خشن مكسور العربية:

ـ أنتم... تبنون.

جيد.

الأرض... صعبة. الوحوش... كثيرة.

نحن... نراقب.

لا نقترب أكثر... هذه الليلة.

ثم أشار إلى إحدى المرأتين خلفه، امرأة في أوائل الثلاثينيات، جسدها نحيل عضلي، وشعرها الأسود الطويل مربوط بجلد حيوان، وعيناها سوداوان ثابتتان. قالت شيئًا بلغتهم بسرعة، فترجم الرجل:

ـ هي تقول... أنتم رائحتكم غريبة. لكنكم لا تطلقون النار أولًا. هذا... جديد.

نظر عمر إلى المرأة للحظة أطول مما قصد. كانت تنظر إليه مباشرة، دون خوف واضح ودون ودّ أيضًا. مجرد تقييم بارد.

أيمن من جهته لاحظ المرأة الثانية، أصغر قليلًا، تحمل قوسًا وتقف بوضعية استعداد دائمة. تبادلا نظرة قصيرة حادة قبل أن تعيد تركيزها على الأفق.

قال عمر أخيرًا بصوت واضح:

ـ نحن لا نبحث عن حرب.

نبني لنعيش.

إذا لم تهاجمونا... فلن نهاجمكم.

الرجل ذو الندوب أومأ مرة واحدة، ثم أشار لرفقائه وانسحبوا في الظلام بنفس السرعة التي جاؤوا بها.

عندما عاد الثلاثة إلى داخل المركبة، ساد صمت مختلف هذه المرة.

نانسي كانت أول من تكلم وهي تغلق الباب:

ـ هم يختبرون حدودنا.

وفي المرة القادمة... قد لا يكتفون بالمراقبة.

أيمن وضع المسدس جانبًا وقال وهو يتكئ على الجدار:

ـ أو قد يطلبون شيئًا.

طعام. أدوات. معرفة.

العالم هنا لا يعطي شيئًا مجانًا.

أما عمر فقد جلس على مقعده ونظر إلى يديه المتسختين بالتراب. صورة العينين السوداوين الثابتتين كانت ما تزال عالقة في ذهنه. لم يقل شيئًا.

لكن شيئًا صغيرًا... فضولًا حذرًا... كان قد بدأ يتشكل في مكان ما خلف الذنب والتعب.

خارج المركبة، كان السور الناقص يقف كخط دفاعي هش تحت النجوم.

وداخله، بدأ الثلاثة يتحولون ببطء من ناجين مذهولين

إلى أناس يبنون جدارًا...

وجدارًا آخر غير مرئي داخل صدورهم.

هل ننتقل إلى الفصل الثالث من أحد الخطين؟

الفصل الثالث

الرفض

أيقظوه في منتصف الليل.

دخل أربعة رجال هذه المرة. اثنان أمسكا بذراعيه بقوة، والثالث فك السوار البلاستيكي واستبدله بقيود معدنية حقيقية خلف ظهره. الرابع كان يقف عند الباب يحمل جهازًا يشبه المسدس الصاعق.

لم يتكلم أحد. سحبوه عبر ممرات بيضاء طويلة، ثم مصعد هابط، ثم ممر آخر أضيق وأكثر برودة. أخيرًا دفعوه داخل غرفة صغيرة بلا نوافذ، جدرانها رمادية داكنة، وفي وسطها طاولة معدنية وكرسيان.

أجلسوه على أحد الكرسيين وربطوا قيوده إلى حلقات في الأرض.

بعد دقائق دخل عمر الشاب وحده. أغلق الباب خلفه، وجلس على الكرسي المقابل، ووضع جهازًا لوحيًا على الطاولة.

ـ اللجنة الأمنية للمشروع اجتمعت.

تقريرهم الأولي: أنت تهديد محتمل من مستوى ألفا.

احتمالات كونك عميلًا مدربًا على الخداع النفسي مرتفعة.

احتمالات كونك... ما تدعيه... تقترب من الصفر في حساباتهم.

رفع عينيه إلى شريف:

ـ أنا طلبت أربعًا وعشرين ساعة إضافية قبل تسليمك رسميًا إلى الأمن الداخلي.

هذه الساعات تنفد.

إذا كان لديك أي دليل مادي... أي شيء يمكن التحقق منه الآن وليس بعد أشهر أو سنوات... فهذا وقتك الأخير.

شريف شعر بالقيود المعدنية تضغط على معصميه. كان الألم في صدره قد خف قليلًا، لكن الإرهاق كان أثقل.

ـ الدليل الوحيد الذي أملكه هو معرفتي بما سيحدث.

في الخامس من يونيو القادم، سيحدث تسرب إشعاعي بسيط في المفاعل التجريبي رقم 3 في المجمع الجنوبي. لن يُعلن عنه. سيموت فني واحد ويُصاب ثلاثة.

بعدها بثلاثة أسابيع، ستوافق اللجنة العليا على زيادة طاقة التموج بنسبة 40٪ رغم تحذيرات فريق السلامة.

وبعد ستة أشهر... ستفقدون السيطرة على أول تموج كبير لمدة سبع عشرة ثانية. في تلك الثواني سترون أشياء... أشياء تجعل بعضكم يطلب إغلاق المشروع. لكنكم لن تغلقوه.

سكت. كان عمر الشاب يحدق فيه دون أن يكتب شيئًا هذه المرة.

ـ هذه معلومات يمكن أن تكون مسربة من داخل المشروع نفسه ـ قال عمر أخيرًا ـ أو تخمينات مبنية على معرفة عامة ببروتوكولاتنا.

شريف مال إلى الأمام قدر ما تسمح القيود:

ـ إذن اختبرني.

خذ معلومة واحدة فقط. التسرب في الخامس من يونيو.

انتظر. راقب.

إذا حدث... ستعرف أنني لا أكذب.

وإذا لم يحدث... سلمّني إلى أمنك الداخلي وافعل ما تشاء.

ساد صمت طويل.

عمر الشاب أغلق الجهاز اللوحي ببطء، ثم وقف ودار حول الطاولة حتى صار خلف شريف. توقف هناك لحظة، ثم قال بصوت منخفض لا يصل إلا إليه:

ـ حتى لو صدقتك...

هل تتخيل ما الذي يعنيه وجودك هنا؟

أنت لست مجرد زائر من المستقبل.

أنت دليل حي على أن ما نفعله سينجح... وسيُدمر كل شيء لاحقًا.

إذا كشفنا وجودك، قد يسرع البعض التجارب لا العكس.

وإذا أخفيناك... فأنا أخون كل بروتوكول أقسمت عليه.

عاد إلى وجه شريف. كانت عيناه الرماديتان متعبتين فجأة.

ـ سأمنحك الوقت حتى الخامس من يونيو.

ستُنقل إلى زنزانة انفرادية تحت المراقبة الكاملة. لا كتب. لا شاشات. لا كلام مع أحد إلا معي.

وإذا لم يحدث التسرب كما قلت...

فسأسلمك بنفسي.

ضغط زرًا على الحائط. فتح الباب. دخل الحراس مرة أخرى.

بينما كانوا يفكّون قيوده من الأرض ويعيدون ربطها أمامه، نظر شريف إلى أبيه الشاب وقال بهدوء:

ـ أنت خائف.

ليس مني.

من أنني قد أكون صادقًا.

عمر الشاب لم يرد.

فقط وقف عند الباب يراقبهم وهم يسحبون شريف إلى خارج الغرفة، حتى اختفى في الممر البارد.

ثم أغلق الباب، واستند إليه من الداخل، وأغلق عينيه لحظة طويلة.

في الزنزانة الانفرادية التي نُقل إليها بعد قليل، جلس شريف على الحافة المعدنية الضيقة للسرير، ظهره إلى الجدار، وراح يعد الأيام حتى الخامس من يونيو.

كان الرفض قد جاء.

لكن الباب...

لم يُغلق تمامًا بعد.

هل تريد الفصل المقابل (الفصل الثالث من خط 2412 – الهجينات)؟

الفصل الثالث (المقابل)

الهجينات

في اليوم السادس بعد اختفاء شريف، عادت نانسي إلى البركة الشرقية وحدها.

لم تخبر أحدًا في البداية. انتظرت حتى انشغل عمر وأيمن بتعميق الجزء الغربي من الخندق، ثم حملت حقيبة التحليل الصغيرة ومسدسها، وخرجت بهدوء من الفجوة الضيقة في السور.

كان المكان هادئًا كما تتذكره. الماء راكد وصافٍ، والأعشاب حول الحافة أطول قليلًا مما كانت. انحنت عند الضفة وبدأت تأخذ عينات جديدة من التربة والماء. بعد دقائق رفعت رأسها... ووجدته يقف هناك.

المخلوق الصغير الذي رأته أول مرة.

كان أكبر قليلاً الآن، أو ربما بدت لها كذلك. الريش البدائي عند رقبته صار أوضح، وعيناه الذهبيتان ثابتتان عليها دون خوف واضح. مال رأسه إلى الجانب كعادته، ثم أصدر صوت الزقزقة المنخفضة التي صارت مألوفة.

ابتسمت نانسي رغم كل شيء. همست:

ـ إذن أنت ما زلت هنا...

جيد.

مدّت يدها ببطء، راحة الكف مفتوحة. اقترب المخلوق هذه المرة بثقة أكبر ولمس أصابعها بخطمه لحظة قصيرة قبل أن ي□□ خطوتين. أخرجت قطعة صغيرة من اللحم المجفف ورمتها له. التقطها بسرعة وأكلها.

بعد قليل ظهر المخلوق الأكبر من بين الأشجار.

كان يتحرك بهدوء مدهش رغم حجمه. توقف على بعد أربعة أمتار منها، خفض رأسه قليلاً، ونظر إليها مباشرة. العلامة الباهتة على صدره كانت أوضح تحت ضوء الصباح. أصدر سلسلة أصوات قصيرة متتالية، فجاء الصغير ووقف إلى جواره.

نانسي شعرت بقلبها يتسارع، لكنها لم ترفع السلاح. أخرجت جهاز التحليل ووجهته نحوهما بحذر. القراءات ظهرت سريعًا:

تسلسلات جينية معدّلة بشكل معقد. علامات واضحة على تعزيز مراكز الإدراك والتواصل في الدماغ. بقايا بروتينات اصطناعية قديمة في الدم.

هذان المخلوقان لم يكونا طبيعيين. كانا... مصمَّمين.

همست وهي تنظر إلى العينين الذهبيتين للكبير:

ـ أنتما بقايا ما فعلوه... أليس كذلك؟

تجاربهم التي هربت أو أُطلقت عندما انهار كل شيء.

المخلوق الكبير أصدر صوتًا منخفضًا يشبه الزمجرة المختلطة بزقزقة، ثم التفت نحو الغابة وبدأ يمشي ببطء. توقف بعد أمتار ونظر خلفه إليها. الصغير ركض خلفه ثم عاد ينظر إليها كأنه ينتظر.

ترددت نانسي لحظة. ثم نهضت وتبعتهم.

ساروا نحو منخفض صخري صغير على بُعد مئتي متر تقريبًا. هناك، بين الصخور والأعشاب الكثيفة، وجدت بقايا قفص معدني قديم نصف مدفون، عليه رموز باهتة تشبه العلامة التي على صدر المخلوق الكبير. إلى جانبه قطع من أجهزة مكسورة وطوق إلكتروني مفتوح ومتآكل.

جلست نانسي على صخرة قريبة وسجلت كل شيء. المخلوقان جلسا على مسافة قريبة يراقبانها. في لحظة معينة اقترب الكبير ومدّ رأسه نحو الجهاز اللوحي في يدها، كأنه يشمّه أو يفحصه. لم يهاجم.

بعد أكثر من ساعة عادت إلى القاعدة. وجدها عمر عند السور، وجهه متوترًا.

ـ أين كنتِ؟ قلنا لا ننفصل.

رفعت نانسي الجهاز وأرتِه القراءات والصور. شرحَت بسرعة ما رأته. بينما كانت تتكلم، وقف أيمن يستمع من مدخل المركبة، عيناه تضيّقان.

عندما انتهت، ساد صمت قصير.

قال عمر أخيرًا وهو ينظر إلى الصور:

ـ إذن هم ليسوا مجرد ديناصورات عادية.

بقايا أسلحة... أو تجارب تواصل.

ربما أذكى مما نتصور.

أضاف أيمن بصوت خشن:

ـ وأذكى يعني أخطر.

أي شيء يفهم ويراقب ويتذكر... يمكن أن يصبح حليفًا.

أو يصبح العدو الذي يعرف كيف يصطادنا.

نظرت نانسي إلى البركة البعيدة مرة أخرى. كانت ما تزال ترى في ذهنها العينين الذهبيتين اللتين نظرتا إليها دون عداء واضح.

همست:

ـ أو ربما... يكونان مثلنا.

ضحايا هذا العالم المكسور.

فقط يحاولان البقاء.

في تلك الليلة، قبل أن تنام، خرجت للحظة إلى باب المركبة ونظرت نحو الشرق. لم تُصدر أي صوت. فقط وقفت هناك تحت النجوم الغريبة، تشعر أن شيئًا صغيرًا في هذا العالم الواسع الموحش...

قد بدأ يتعرف عليها.

وأنها لم تعد غريبة تمامًا كما كانت في اليوم الأول.

هل ننتقل إلى الفصل الرابع من أحد الخطين؟

الفصل الرابع

الدليل

الخامس من يونيو 2099.

كان شريف يعد الأيام على الحائط المعدني للزنزانة بخط صغير من ظفره. عندما وصل إلى العلامة الأخيرة، جلس على حافة السرير الضيق ولم ينم طوال الليل.

في الصباح الباكر فُتح الباب.

دخل عمر الشاب وحده هذه المرة. كان وجهه شاحبًا أكثر من المعتاد، وربطة عنقه مفكوكة قليلاً، وفي يده جهاز لوحي يعرض تقريرًا أحمر اللون.

أغلق الباب خلفه ووقف أمام شريف دون أن يجلس.

ـ الساعة الثالثة والنصف فجرًا بتوقيت المجمع.

تسرب إشعاعي بسيط في المفاعل التجريبي رقم 3 في المجمع الجنوبي.

فني واحد توفي في المكان. ثلاثة مصابين بنسب متفاوتة.

التقرير الرسمي سيقول «عطل فني محدود» ولن يُعلن للجمهور.

سكت لحظة. كان صوته منخفضًا جدًا:

ـ التوقيت… المكان… النتيجة…

كل شيء كما قلت تمامًا.

شريف لم يظهر أي شماتة. فقط رفع عينيه وقال بهدوء:

ـ هل يكفي هذا؟

عمر الشاب وضع الجهاز اللوحي على السرير إلى جانب شريف، ثم سار نحو الجدار البعيد ووقف يدير ظهره إليه. مرّت ثوانٍ طويلة قبل أن يتكلم مجددًا:

ـ لا.

لا يكفي.

يمكن أن تكون قد حصلت على هذه المعلومة من مصدر داخلي قبل احتجازك. أو أنك جزء من عملية أكبر لزعزعة المشروع.

التفت أخيرًا. كانت عيناه الرماديتان محمرتين من قلة النوم:

ـ لكنني لا أستطيع تجاهله أيضًا.

طلبت من اللجنة الأمنية تمديد احتجازك الانفرادي ستين يومًا إضافية بحجة «تحقيق معمق».

خلال هذه الفترة... سأختبرك بمعلومات أخرى. أحداث أصغر. أشياء لا يمكن أن يعرفها إلا من داخل الدائرة الضيقة جدًا... أو من المستقبل.

اقترب حتى صار على بعد خطوة واحدة فقط من شريف.

ـ إذا صحت ثلاث معلومات إضافية خلال الشهرين القادمين...

فسأبدأ في الاستماع إليك حقًا.

وإذا فشلت واحدة فقط...

فسأسلمك في اليوم التالي.

شريف أومأ ببطء.

ـ موافق.

لكنني أريد شيئًا في المقابل.

ـ تطلب شروطًا وأنت مقيد في زنزانة؟

ـ أريد ورقًا وقلمًا.

أو جهازًا لوحيًا مغلقًا عن الشبكة.

سأكتب لك كل ما أعرفه عن المراحل التالية للمشروع... بالتفصيل. التواريخ. الأسماء. الأخطاء التي سترتكبونها.

وإن قررت في النهاية أن تصدقني... ستكون لديك خريطة كاملة بما يجب أن تتجنبه.

عمر الشاب نظر إليه فترة طويلة. ثم ضغط زرًا على ساعته.

ـ ستحصل على ورق وأقلام. لا أجهزة.

وكل ورقة تكتبها ستُفحص قبل أن تصل إليّ.

سار نحو الباب، ثم توقف دون أن يلتفت:

ـ معلومة أخيرة لهذا اليوم.

الاسم الذي على بطاقة الهوية التي وجدتموها في 2412...

هل تذكره؟

شريف أغلق عينيه لحظة، ثم قال:

ـ معظمها كانت متآكلة. لكن واحدة منها كانت تحمل اسم «كريم عبد الله»... مدير مجمع البحوث الإقليمي في القطاع 7.

والتاريخ كان يونيو 2412.

عمر الشاب جمد في مكانه للحظة.

كريم عبد الله كان في هذا المجمع الآن... زميلًا شابًا في فريق السلامة، معروفًا بدقته وتحفظه.

خرج دون أن يقول كلمة أخرى.

أغلق الباب. انغلق القفل.

شريف بقي جالسًا على حافة السرير، ينظر إلى الجدار الذي مليء بعلامات الأيام.

بعد ساعات قليلة جاء حارس وترك له كومة ورق أبيض وثلاثة أقلام رصاص.

أخذ شريف القلم الأول، وبدأ يكتب من الصفحة الأولى:

«هذا ما سيفعله مشروع أورفيوس بالعالم... إذا لم توقفوه.»

وفي مكتب بعيد داخل المجمع، كان عمر الشاب يقف أمام نافذة كبيرة تطل على أبراج المدينة السليمة، يكرر الاسم في سره:

كريم عبد الله...

يونيو 2412.

والدليل الأول

كان قد بدأ يفتح شقًّا صغيرًا

في جدار اليقين.

هل تريد الفصل المقابل (الفصل الرابع من خط 2412 – الصيف الأول)؟

الفصل الرابع (المقابل)

الصيف الأول

مرّت الأسابيع الأولى كأنها شهور.

الشمس صارت أقوى، والحرارة ارتفعت، والأعشاب حول الهضبة اصفرّت في بعض البقع. لكن النهر القريب ظل يجري، والسمك الفضي ظل يسبح في مياهه الصافية، والغابة ظلت كثيفة ومليئة بالأصوات.

القاعدة تغيرت.

السور الحجري ارتفع إلى متر ونصف في معظم الجهات، والخندق صار أعمق ومزروعًا بأشواك معدنية مأخوذة من حطام المركبة. مستشعرات الحركة صارت تغطي محيطًا أوسع، ونانسي ربطت نظام إنذار صوتي خافت يعمل داخل المركبة فقط حتى لا يجذب الانتباه من بعيد.

أيمن استعاد قدرته على المشي دون عكاز معظم الوقت، رغم أنه ما زال يشعر بألم حاد إذا أجهد نفسه. صار يقضي ساعات طويلة في دوريات قصيرة حول المحيط، أو في تدريب عمر ونانسي على إطلاق النار بدقة أكبر من مسافات مختلفة.

في أحد الأفواج الحارة، قرروا أن يوسعوا منطقة الصيد والجمع شرق النهر. أخذوا السيارة «بيتا» المحمّلة بأدوات بسيطة، وتركوا المركبة تحت حراسة المستشعرات المشددة.

بينما كانوا يعبرون الجزء الضحل من النهر، ظهرت المجموعة القبلية مرة أخرى.

كانوا سبعة هذه المرة، يقفون على الضفة المقابلة. الرجل ذو الندوب في المقدمة، وخلفه النساء والرجال يحملون سلالًا من الخشب والجلد. لم تكن هناك رماح مرفوعة هذه المرة. كانت السلال ممتلئة بفواكه برية غير مألوفة وجذور سميكة وأسماك مجففة.

توقف الطرفان.

الرجل ذو الندوب رفع يدًا مفتوحة وقال بصوته الخشن:

ـ أنتم... تبنون جيد.

الوحوش... أقل قرب سوركم.

نحن... نجلب طعام.

أنتم... تعطون... حديد؟ أو نار قوية؟

كان العرض واضحًا: مقايضة.

عمر نظر إلى أيمن. أيمن هَزّ رأسه مرة واحدة ببطء، موافقًا بحذر. نزل عمر من السيارة ورفع يديه ليظهر أنه بلا سلاح، ثم تقدّم خطوات قليلة. أشار إلى صندوق صغير في مؤخرة السيارة يحتوي على مسامير معدنية وقطعة صفيح وبطارية فارغة تالفة.

بدأت المقايضة ببطء وصمت نسبي.

خلالها اقتربت المرأة ذات العينين السوداوين الثابتتين (التي لاحظها عمر في اللقاء السابق) وحملت سلة الفواكه بنفسها. عندما مدت يديها لتسلم القطعة المعدنية،

لمست أصابع عمر للحظة قصيرة. لم تسحب يدها فورًا. نظرت إليه مباشرة، ثم أومأت برأسها مرة واحدة كأنما تقول «حسنًا» وانسحبت.

في الجانب الآخر، كانت المرأة الثانية (حاملة القوس) تقف قرب أيمن بينما كان يفحص الأسماك المجففة. تبادلا كلمات قليلة مكسورة بالعربية ولغتهم. عندما انتهى التبادل، لمحت نانسي أن المرأة تركت على حجر قريب قطعة صغيرة من حجر صوان مشذّب بعناية... أداة إشعال نار. أيمن التقطها لاحقًا دون أن يعلق.

بعد أن انتهت المقايضة وانسحبت القبيلة، جلس الثلاثة في ظل شجرة كبيرة على الضفة.

قالت نانسي وهي تفحص إحدى الثمار الصفراء بجهاز التحليل:

ـ صالحة للأكل. نسبة سكريات جيدة، لا سموم ظاهرة.

هذا يغير حساباتنا للأسابيع القادمة.

أيمن كان يدير قطعة الصوان بين أصابعه وقال بصوت عملي:

ـ هم يحتاجون إلى المعادن أكثر مما يظهرون.

ونحن نحتاج إلى طعام طازج ومعرفة بالأرض.

التحالف... ممكن. لكن هش.

أما عمر فقد كان ينظر إلى النهر دون أن يتكلم. صورة الأصابع التي لمست أصابعه كانت ما تزال حاضرة. لم تكن نظرة المرأة ودية تمامًا، ولا عدائية. كانت... تقييمًا. وفضولًا حذرًا يشبه فضوله هو.

في تلك الليلة، بعد أن عادوا إلى القاعدة وأمّنوا السور، جلس الثلاثة حول مصباح خافت يتناولون بعض الأسماك المشوية على نار صغيرة خارج المركبة لأول مرة منذ وصولهم.

نانسي قالت فجأة وهي تنظر إلى النار:

ـ الصيف الأول...

إذا نجونا منه، فقد ننجو مما بعده.

أيمن ألقى عظمة في النار وقال:

ـ إذا بنينا الجدران أعلى، وتعلمنا الأرض أسرع... نعم.

أما إذا صرنا نثق أكثر مما ينبغي... فالصيف نفسه قد يقتلنا.

عمر لم يضف شيئًا.

فقط رفع عينيه نحو الظلام حيث اختفت القبيلة، وشعر أن شيئًا صغيرًا قد تغير في المعادلة.

ليس تحالفًا بعد.

ولا صداقة.

لكنه لم يعد مجرد عداء صامت أيضًا.

وخارج السور، تحت ضوء القمر الخافت، كانت عيون أخرى تراقب النار الصغيرة من بعيد...

وتقرر في سرها

إن كان هؤلاء القادمون من السماء

يستحقون الصفقة التالية

أم لا.

هل ننتقل إلى الفصل الخامس من أحد الخطين؟

الفصل الخامس

البذرة

بعد ثلاثة أسابيع من التسرب الإشعاعي، جاءت المعلومة الثانية صحيحة أيضًا.

كانت صغيرة هذه المرة: تغيير مفاجئ في جدول اجتماع اللجنة العليا في الخامس عشر من يونيو، وإضافة بند سري في اللحظة الأخيرة يتعلق بزيادة طاقة التموج. شريف كتب التفاصيل على ورقة وسلّمها عبر الحارس قبل الموعد بيومين. عندما حدث التغيير تمامًا كما وصف، عاد عمر الشاب إلى الزنزانة في الليلة نفسها.

هذه المرة لم يكن وحده. جاء معه رجل نحيل في أوائل الأربعينيات، يرتدي نظارة طبية رفيعة، ووجهه يحمل تعبيرًا دائمًا من التحفظ الشديد. كان يحمل ملفات ورقية تحت ذراعه.

ـ هذا الدكتور كريم عبد الله ـ قال عمر دون مقدمات ـ من فريق السلامة والتقييم المخاطر.

طلبت حضوره شخصيًا.

شريف رفع رأسه بسرعة. الاسم كان نفسه الذي ظهر على البطاقة المتآكلة في 2412. شعر بقشعريرة باردة تسري في ظهره.

كريم نظر إلى شريف نظرة طويلة فاحصة، ثم قال بصوت هادئ وواضح:

ـ أنا لا أؤمن بقصص المسافرين عبر الزمن.

لكنني أؤمن بالبيانات المتكررة التي لا يمكن تفسيرها بالصدفة.

ثلاث معلومات دقيقة حتى الآن.

سأستمع.

جلس الاثنان على الكرسيين المعدنيين اللذين أُحضرا خصيصًا. بقي شريف على حافة السرير، القيود ما تزال في معصميه لكنها أصبحت أطول قليلاً لتسمح له بالكتابة.

بدأ يتكلم.

روى لهم بالتفصيل ما يعرفه عن المرحلة التالية من المشروع: كيف سيبدأون في دمج نتائج التموجات مع برنامج هندسة وراثية عكسية كان يعمل في مجمع آخر تحت اسم مختلف. كيف سيحاولون «إعادة» أنواع منقرضة لأغراض عسكرية في البداية، ثم

يفقدون السيطرة عليها. كيف ستتداخل التموجات الزمنية مع التجارب الجينية فتصنع كائنات هجينة أذكى وأكثر عدوانية مما خططوا.

كريم كان يكتب ملاحظات بسرعة فائقة. عمر الشاب كان يستمع دون أن يتحرك تقريبًا.

عندما توقف شريف أخيرًا، ساد صمت ثقيل.

قال كريم وهو يخلع نظارته ويمسحها ببطء:

ـ إذا كانت هذه المعلومات صحيحة...

فإن ما نفعله الآن ليس بحثًا علميًا.

إنه إشعال فتيل قنبلة لن تنفجر في وجوهنا نحن... بل في وجوه أحفادنا.

نظر عمر إلى شريف:

ـ أنت تقول إن البذرة تُزرع هنا. الآن.

في هذه الغرف. بأيدينا.

شريف أومأ.

ـ نعم.

وكل يوم تستمرون فيه تقربون الموعد الذي رأيتُ فيه الأرض خرابًا والديناصورات تمشي في شوارع كانت لكم.

كريم أغلق الملف ووقف.

ـ أحتاج إلى وقت.

سأراجع كل بروتوكولات السلامة الحالية بنفسي.

وإذا وجدت ثغرات تطابق ما قاله هذا الشاب... فسأعد تقريرًا رسميًا يطلب التجميد الفوري للتجارب.

خرج. بقي عمر وشريف وحدهما.

بعد لحظة طويلة قال عمر بصوت منخفض:

ـ حتى لو صدقناك...

هل تعتقد أن إيقاف المشروع بهذه البساطة ممكن؟

هناك جنرالات. ميزانيات. دول مشاركة.

أنت لا تطلب إيقاف تجربة.

أنت تطلب أن نعترف أننا قد نكون نهاية العالم.

شريف نظر إلى أبيه الشاب مباشرة:

ـ أنا لا أطلب الاعتراف.

أنا أطلب أن تقطعوا البذرة قبل أن تترسخ.

لأنني رأيت الشجرة التي نمت منها...

ورأيتها تقتل كل شيء.

عمر وقف هذه المرة وأدار ظهره نحوه. سار نحو الباب ثم توقف.

ـ سأعطيك ورقًا أكثر.

اكتب كل شيء. التواريخ. الأسماء. المعادلات إن كنت تذكرها.

وسأقرأ.

لكن لا تتوقع مني أن أهدم سنوات عملي في ليلة واحدة بناءً على كلام سجين يدعي أنه ابني.

خرج.

أغلق الباب بعنف أشد من المرات السابقة.

شريف بقي جالسًا في الصمت.

أخذ القلم وبدأ صفحة جديدة.

كان العنوان الذي كتبه في أعلى الصفحة:

البذرة

كيف تبدأ النهاية من غرفة بيضاء نظيفة.

وفي مكتب في الطابق العلوي، كان عمر الشاب يقف أمام نافذة مظلمة، يكرر في سره الجملة التي قالها شريف، ويشعر لأول مرة منذ سنوات أن النجاح الذي يسعى إليه...

قد يكون أسوأ من أي فشل.

هل تريد الفصل المقابل (الفصل الخامس من خط 2412 – الذنب)؟

الفصل الخامس (المقابل)

الذنب

في الليلة التي اكتمل فيها السور إلى مترين في معظم الجهات، جلس الدكتور عمر وحيدًا خارج المركبة بعد أن نام الآخرون.

كان يجلس على صندوق معدني فارغ، ظهره إلى الجدار الحجري الجديد، ينظر إلى النار الصغيرة التي أبقوها مشتعلة داخل دائرة من الحجارة. الشرر يتصاعد ببطء نحو السماء الرمادية المرصعة بالنجوم الغريبة.

لم يكن يفكر في الديناصورات هذه الليلة.

ولا في القبيلة.

ولا حتى في شريف مباشرة.

كان يفكر في غرفة بيضاء نظيفة قبل سبعة وعشرين عامًا... أو بالأحرى قبل أكثر من ثلاثمئة سنة حسب التقويم الجديد الذي يعيشون فيه الآن.

سمع خطوات خفيفة. رفعت نانسي غطاء المركبة وخرجت، ملفوفة ببطانية خفيفة. جلست إلى جواره دون أن تطلب إذنًا، ومدّت يديها نحو النار.

سكتا لفترة طويلة.

ثم قالت بصوت هادئ:

ـ لا تستطيع النوم أنت أيضًا.

هز رأسه.

ـ كلما أغلقت عيني أرى المنصة.

وأرى شريف وهو يُسحب.

وأرى نفسي وأنا أضع يدي على المفتاح... وأتردد ثانية واحدة أكثر مما يجب.

نانسي سحبت ركبتيها إلى صدرها داخل البطانية.

ـ أنت لم تسحبه.

الممر هو من سحبه.

وأنت حاولت أن تمسك به.

ـ لو دمرت الجهاز من اليوم الأول... لما كان هناك ممر أصلًا.

قالت نانسي بهدوء أشد:

ـ ولو لم تفتحوا المشروع من الأساس قبل عشرات السنين... لما وصلنا إلى هنا.

الذنب ليس ملكك وحدك يا أبي.

هو إرث.

وأنت فقط من بقي ليحمله أمامنا.

نظر إليها. كانت ملامحها في ضوء النار تبدو أكبر من عمرها الحقيقي بسنوات. لم تعد الفتاة التي كانت تتجادل مع أخيها حول نسب الأكسجين على متن الرازي-1. صارت شخصًا آخر... أو ربما صارت نفسها الحقيقية أسرع مما ينبغي.

بعد لحظة قال:

ـ في المستقبل الذي جئنا منه... كنت أعتقد أنني دفنت المشروع خلفي.

وقّعت التعهدات. صمتُّ. انتقلت إلى أبحاث أخرى.

بنيت حياة. رزقت بكما.

وظننت أن الصمت يكفي.

الآن أعرف أن الصمت كان مجرد تأخير للفاتورة.

رمت نانسي عودًا صغيرًا في النار.

ـ وهل دفع شريف الفاتورة عنك؟

الصمت الذي أعقب السؤال كان أثقل من أي زئير سمعوه حتى الآن.

عمر لم يرد فورًا. عندما تكلم جاء صوته أجشّ:

ـ ربما.

أو ربما هو الآن يدفع ثمنًا أكبر... في زمن لا نستطيع الوصول إليه.

من داخل المركبة جاء صوت أيمن مبحوحًا، وكان قد استيقظ على صوت حديثهما:

ـ الذنب لا يبني سورًا ولا يطعم أحدًا.

إذا أردتما أن تحملاه، فاحملاه أثناء العمل لا أثناء الجلوس.

الغد هناك خندق إضافي يجب حفره في الجهة الشرقية، وأنا لا أستطيع الحفر وحدي بعد.

ابتسمت نانسي ابتسامة صغيرة حزينة رغم كل شيء.

عمر رفع رأسه نحو السماء.

ـ سأحمله أثناء العمل إذن.

لكنني لن أدّعي أنه اختفى.

كل حجر أضعه في هذا السور... سأتذكر أنه ربما ما كان يجب أن أحتاج إليه أصلًا.

نانسي وضعت رأسها على كتفه للحظة قصيرة، ثم نهضت.

ـ نم قليلاً إن استطعت.

الصيف طويل... والذنب لن يهرب إذا أغمضت عينيك ساعتين.

عادت إلى الداخل.

بقي عمر وحيدًا مع النار والنجوم والسور الحجري الذي بنوه بأيديهم.

في مكان ما بعيد داخل الغابة، زأر شيء ضخم ثم سكت.

وعلى الهضبة، كان رجل في منتصف العمر يجلس أمام نار صغيرة، يحمل على كتفيه وزن عالم كامل انهار...

ويحاول أن يتعلم كيف يبني شيئًا جديدًا

فوق أنقاض ما ساهم في تدميره.

الذنب

لم يختفِ.

لكنه للمرة الأولى

صار وقودًا

بدلاً من أن يكون قيدًا فقط.

هل ننتقل إلى الفصل السادس من أحد الخطين؟

الفصل السادس

التأثير الجانبي

المعلومة الثالثة جاءت في أوائل يوليو.

كانت أدق وأكثر خطورة: موعد سري لاجتماع مصغر بين اللجنة العليا وممثلين عسكريين من ثلاث دول مشاركة، كان مقررًا في السابع من يوليو داخل قاعة محصنة تحت الأرض. شريف كتب المكان والساعة وأسماء الحاضرين الرئيسيين على ورقة وسلّمها قبل الموعد بيوم كامل.

عندما حدث الاجتماع تمامًا كما وصف، في القاعة نفسها، مع الأسماء نفسها، تغير شيء في طريقة تعامل عمر الشاب معه.

في الليلة التالية دخل الزنزانة يحمل كرسيًا إضافيًا وجهازًا لوحيًا صغيرًا مغلقًا عن أي شبكة. جلس أمام شريف ووضع الجهاز على الطاولة المعدنية الضيقة.

ـ ثلاث إصابات.

لا مجال للصدفة بعد الآن في تقديري الشخصي.

لكن اللجنة الأمنية ما زالت تعتبرك «مصدر معلومات عالي الخطورة وغير موثوق المصدر».

لذلك سنفعل شيئًا آخر.

فتح الجهاز. ظهرت خريطة للمجمع ومخططات تقنية معقدة.

ـ هذه نسخة محدودة من ملفات المرحلة الحالية.

معادلات التموج الأولية. جداول الطاقة. أسماء الفرق.

أريدك أن تقرأها وتكتب لي بالضبط أين ستحدث الأخطاء القاتلة خلال الأشهر الستة القادمة.

إذا تطابقت توقعاتك مع ما سيحدث لاحقًا... فسأنتقل إلى الخطوة التالية.

وإذا أخطأت في واحدة جوهرية... ينتهي الأمر.

شريف أخذ الجهاز. بدأ يقرأ بسرعة. بعد ساعة رفع رأسه وقال:

ـ الخطأ الأول سيكون هنا.

في المعايرة الثالثة لمولد التموج الثانوي. ستتجاهلون تحذيرًا من فريق السلامة حول تداخل ترددي بسيط. بعدها بثمانية أيام ستفقدون السيطرة لمدة تسع ثوانٍ بدلاً من الثلاث التي تتوقعونها. في تلك الثواني ستتسجل قراءات... ستخيف بعض العلماء بما يكفي ليطلبوا التجميد. لكن الضغط العسكري سيمنع التجميد.

عمر سجل كل كلمة. ثم أخذ الجهاز وخرج.

بعد أحد عشر يومًا عاد.

هذه المرة كان وجهه مختلفًا. أكثر شحوبًا، وأكثر حدة.

ـ حدث.

تسع ثوانٍ كاملة.

القراءات التي ظهرت... جعلت كريم عبد الله يقدم تقريرًا رسميًا يطلب التجميد الفوري.

اللجنة رفضت. ضغط عسكري مباشر.

لكن التقرير موجود الآن في الأرشيف.

جلس. مرر يده على وجهه.

ـ أنت تغير شيئًا بمجرد وجودك هنا.

كريم لم يكن ليكتب هذا التقرير بهذه القوة لولا المعلومات التي أعطيتني إياها.

التقرير نفسه صار جزءًا من السجل.

حتى لو فشلنا في إيقاف المشروع... فالتاريخ تغيّر قليلاً بالفعل.

شريف شعر ببرودة في معدته.

ـ هذا هو التأثير الجانبي.

كل معلومة أعطيكم إياها... تدخل في الخط الزمني.

قد تؤخر الكارثة.

وقد تخلق كارثة مختلفة.

نظر عمر إليه نظرة طويلة.

ـ هل تندم؟

ـ لا.

لأن البديل هو أن أجلس صامتًا وأشاهدكم تزرعون النهاية مرة أخرى.

لكنني خائف.

خائف من أنني بمحاولتي الإنقاذ... أصنع نهاية أسوأ لم أرها بعد.

ساد صمت ثقيل.

ثم قال عمر بصوت منخفض:

ـ من الآن فصاعدًا... أي معلومة تعطيني إياها ستمر عبري فقط.

لن أشارك اللجنة إلا ما أراه ضروريًا.

وسأبدأ في بناء ملف سري موازٍ مع كريم.

إذا وصلنا إلى نقطة اللاعودة... قد نضطر إلى تسريب المعلومات خارج المجمع بالكامل.

وقف ليستعد للخروج. عند الباب توقف وأضاف دون أن يلتفت:

ـ وأنا... بدأت أصدق أنك قد تكون ابني حقًا.

ليس لأن الأدلة كافية بعد.

بل لأن الطريقة التي تخاف بها على عالم لم تعشه بعد... تشبهني أكثر مما أرتاح له.

خرج.

أغلق الباب بهدوء هذه المرة.

شريف بقي جالسًا في الزنزانة، ينظر إلى الجدار المليء بعلامات الأيام.

كان التأثير الجانبي قد بدأ.

والبذرة التي جاء ليقطعها...

صارت الآن تُسقى بمياه مختلفة.

ولا أحد يعرف بعد

أي شجرة ستنمو منها.

هل تريد الفصل المقابل (الفصل السادس من خط 2412 – التحالف الهش والبداية)؟

الفصل السادس (المقابل)

التحالف الهش والبداية

جاء العرض الرسمي في أول أيام الشهر الثالث على الهضبة.

وصلت القبيلة هذه المرة في وضح النهار، بقيادة الرجل ذي الندوب، ومعهم ثلاثة رجال وامرأتان. كانوا يحملون سلالًا أكبر: لحم مجفف من حيوانات صغيرة، جذور نشوية، وقطع من جلد مدبوغ بعناية. وقفوا خارج مدى الخندق ورفعوا الأيدي.

خرج عمر وأيمن ونانسي. بعد حوار بطيء ومكسور باللغة المختلطة، اتضح العرض:

القبيلة تعرض «هدنة صيف»: لا هجمات من طرفهم على القاعدة، ومقايضة منتظمة كل خمسة أيام عند النهر. مقابل ذلك يريدون قطعًا معدنية صغيرة، وأدوات إشعال نار أفضل، وأن يعلّمهم أحدهم كيف يصلحون أسلحة بدائية معينة التقطوها من أنقاض قديمة.

بعد نقاش داخلي قصير وافق الثلاثة.

عُقد الاتفاق عند الضفة الصخرية، بحضور الطرفين، دون مصافحة ودون وعود مبالغ فيها. مجرد تفاهم هش مبني على الحاجة المتبادلة.

خلال الأسابيع التالية صارت اللقاءات دورية.

في أحد هذه اللقاءات، بينما كان أيمن يشرح لرجلين كيف يشحذون شفرة معدنية بشكل أفضل، جلست المرأة ذات العينين السوداوين الثابتتين (التي صارت نانسي تسميها في سرها «المرأة الهادئة») قرب عمر على صخرة منخفضة. كانت تساعد في فرز الجذور. لم تتكلم كثيرًا في البداية. ثم قالت بجملة عربية مكسورة لكنها واضحة:

ـ أنت... حزين دائمًا.

عيّنك... تنظر بعيد.

عمر نظر إليها. كانت أكبر منه بقليل على الأرجح، بشرتها داكنة من الشمس، ويداها قويتين من العمل، وفي عينيها شيء من الهدوء الذي افتقده منذ انفجار أدونيس.

ـ هناك... من فقدناه ـ أجاب ببساطة.

أومأت. لم تسأل المزيد. فقط مدّت إليه جذرًا نظيفًا وقالت:

ـ كل.

القوة... تحتاج طعام.

أخذ الجذر. شكرها بكلمة واحدة. جلسا صامتين فترة، يفرزان السلة معًا. لم يكن هناك ودّ مفاجئ ولا توتر عدائي. فقط حضور مشترك مريح في عالم لا يرحم أحدًا.

في الجهة المقابلة من الضفة، كانت المرأة الثانية (حاملة القوس، الأقصر جسدًا والأكثر حدة في الحركة) تراقب أيمن وهو يصلح قوسًا مكسورًا لأحد رجال القبيلة. عندما انتهى، اقتربت وفحصت العمل بعينين ناقدتين، ثم أخرجت من حقيبتها الجلدية وترًا إضافيًا مصنوعًا بعناية وقدمته له دون كلام. أيمن أخذ الوتر، اختبر مرونته، وأومأ لها بإعجاب صامت. تبادلا نظرة قصيرة مباشرة قبل أن تعود إلى موقعها.

نانسي كانت تراقب كل شيء من بعيد بينما تفحص عينات نباتية جديدة. لاحظت التغيرات الصغيرة في سلوك أبيها وأيمن، لكنها لم تعلق. كان عقلها مشغولاً أكثر بالقراءات التي تظهرها أجهزتها عن المخلوقات الهجينة التي صارت تقترب أحيانًا من حدود السور دون عدوانية.

مع مرور الأيام، صارت اللقاءات أطول قليلًا.

عمر والمرأة الهادئة جلسا معًا أكثر من مرة على الصخرة نفسها، يتبادلان كلمات قليلة عن الطقس أو عن الحيوانات أو عن طريقة حفظ اللحم. أحيانًا كانت تضحك ضحكة قصيرة خشنة عندما يخطئ في كلمة من لغتهم، وكان يبتسم رغم نفسه.

أيمن والمرأة المقاتلة صارا يتدربان معًا أحيانًا على الرماية بالأقواس عند حافة الغابة، تحت أعين الحراس من الطرفين. كانت التنافسية واضحة، والاحترام المتبادل أوضح.

في إحدى الليالي، بعد أن عادت القبيلة إلى الغابة، جلس الثلاثة حول النار الصغيرة داخل السور.

قال أيمن وهو يحدق في الجمر:

ـ التحالف هش.

أي خطأ صغير... أو أي نقص في الطعام عندهم... قد يعيده إلى العداء.

لكنه أفضل من الحرب المفتوحة الآن.

أضافت نانسي:

ـ وهم يعرفون الأرض أكثر منا بمئات السنين.

كل معلومة نأخذها منهم... تطيل فرص بقائنا.

أما عمر فقد بقي صامتًا فترة. ثم قال بصوت هادئ كأنه يتحدث إلى نفسه:

ـ في هذا العالم... حتى الهدنة تحتاج إلى من يبنيها يومًا بيوم.

مثل السور.
حجرًا حجرًا.

رفع عينيه نحو الظلام حيث اختفت المرأة الهادئة قبل ساعات.
شيء جديد كان يتحرك في صدره إلى جانب الذنب والتعب.
ليس حبًا.
ولا حتى أملًا واضحًا.
مجرد اعتراف بسيط بأنه ما زال إنسانًا...
وما زال يحتاج إلى أن يُرى
من شخص آخر
في هذا الخراب الواسع.

وخارج السور، تحت الأشجار الكثيفة، كانت حسابات مماثلة تدور في عقول أخرى.
الهدنة صارت قائمة.
والبداية...
كانت قد لمست الأرض للتو.

هل ننتقل إلى الفصل السابع من أحد الخطين؟

الفصل السابع
المطاردة

جاء الانقلاب في منتصف يوليو.

كان شريف يكتب في الزنزانة عندما فُتح الباب فجأة وبقوة. دخل أربعة حراس هذه المرة مع عمر الشاب وشخص جديد: امرأة في الخمسينيات، شعرها رمادي قصير، ووجهها صارم كالصخر. كانت تحمل شارة أمنية رفيعة المستوى.

ـ انتهى وقت الألعاب ـ قالت المرأة بصوت بارد ـ اللجنة الأمنية العليا أصدرت أمر النقل الفوري. المتهم يُنقل إلى المنشأة السوداء للتحقيق المعمق تحت بروتوكول ألفا-7.

عمر الشاب وقف إلى الجانب، وجهه مغلق تمامًا. لم يعترض أمامها. فقط قال بجملة واحدة:

ـ أنا رافقتُ التحقيق منذ البداية. أطلب أن أبقى ضمن الفريق المرافق.

رفضت المرأة.

ـ طلبك مرفوض. التعليمات مباشرة من القيادة المركزية.

في اللحظة التي اقترب فيها الحراس من شريف ليقيدوه من جديد، حدث شيء لم يخطط له أحد.

انطفأت الأضواء فجأة في الممر والزنزانة. صفارات إنذار قصيرة ثم صمت. في الظلام الدامس سمع شريف صوت احتكاك ثم أنين مكتوم. يد قوية أمسكت ذراعه وسحبته إلى الخارج.

ـ اجرِ. لا تتكلم.

كان صوت عمر الشاب.

ركضا في الممرات المظلمة. خلفهما صراخ وأضواء كاشفة بدأت تشتعل من بعيد. نزل عمر درجًا خلفيًا ضيقًا، ثم عبر بابًا حديديًا فُتح بجهاز صغير كان يخفيه، ثم دخلا نفق صيانة قديمًا مليئًا بالأنابيب.

بعد عشر دقائق من الركض الصامت خرجا من فتحة خلف مستودعات المجمع الخارجية. كانت السماء ليلية، والهواء باردًا. في الانتظار كانت هناك مركبة نقل صغيرة بلا علامات، يقودها كريم عبد الله، وجهه شاحبًا ومتوترًا.

ـ خمس دقائق فقط قبل أن يعيدوا تشغيل الأنظمة بالكامل ـ قال كريم بسرعة ـ اركبوا.

انطلقت المركبة في طرق خلفية ضيقة بين المنشآت، ثم خرجت من البوابة الجنوبية الثانوية قبل أن تُغلق بالإنذار العام. خلفهم بدأت صفارات المجمع تعوي في الليل.

داخل المركبة قال عمر وهو يتنفس بصعوبة:

ـ التقرير الأخير الذي كتبناه أنا وكريم عن مخاطر التموج سُرّب إلى جهة خارجية هذا الصباح.

الأمن اعتبر التسريب مرتبطًا بك.

أمر النقل كان في الحقيقة أمر تصفية صامت. المنشأة السوداء لا يُخرج منها أحد.

شريف نظر إلى أبيه الشاب في ضوء لوحة القيادة الخافت:

ـ لماذا ساعدتني؟

ـ لأن ثلاث معلومات صحيحة لم تعد صدفة.

ولأن كريم وجد ثغرات حقيقية في البروتوكولات تطابق ما قلته.

ولأنني... لم أعد قادرًا على تسليمك ليموت وأنت تحمل وجه أمي في عينيك.

كريم قاطعهما وهو يقود بسرعة:

ـ لا وقت للعواطف.

هناك ملاذ آمن مؤقت خارج المدينة، عند أحد زملائي القدامى الذي ترك المشروع قبل سنتين.

نقرر: إما أن نختبئ ونكمل جمع الأدلة، أو نسرّب كل شيء دفعة واحدة إلى جهات دولية ونحترق جميعًا. Downstream

المركبة خرجت من آخر الطرق المضاءة ودخلت منطقة صناعية مظلمة. خلفهم في الأفق كانت أضواء المجمع ما تزال تومض باللون الأحمر.

شريف جلس في المقعد الخلفي، يشعر بضربات قلبه في أذنيه.

كان الحر قد انتهى.

والمطاردة...

قد بدأت للتو.

وفي مكان ما خلفهم، كانت المرأة ذات الشعر الرمادي تقف في غرفة التحكم الرئيسية، تنظر إلى الشاشات التي تظهر المركبة وهي تختفي من نطاق الرادارات الداخلية، وتهمس لضابط بجانبها:

ـ أطلقوا الوحدات الخارجية.

أريد الثلاثة أحياء... إن أمكن.

وإذا لم يمكن... فالأولوية للمتهم القادم من لا مكان.

الليل كان طويلاً.

والعالم الذي حاول شريف إنقاذه

بدأ يلاحقه الآن

بأسنانه الحقيقية.

هل تريد الفصل المقابل (الفصل السابع من خط 2412 – الاقتراب)؟

الفصل السابع (المقابل)

الاقتراب

مع منتصف الصيف صارت الهدنة جزءًا من الإيقاع الأسبوعي.

كل خمسة أيام يلتقون عند الضفة الصخرية للنهر. المقايضة تتم بهدوء متزايد، والكلمات المكسورة صارت أقل احتياجًا إلى ترجمة. القبيلة بدأت تترك حراسها على مسافة أبعد قليلًا، والقاعدة صارت لا ترفع السلاح بمجرد ظهورهم.

في أحد هذه اللقاءات، بعد أن انتهت المقايضة وانشغل الآخرون بتحميل السلال، بقي عمر جالسًا على الصخرة المنخفضة المعتادة. جاءت المرأة الهادئة (التي عرف أخيرًا أن اسمها في لغتهم يقترب من «سارا» أو شيء شبيه) وجلست إلى جواره كالعادة. هذه المرة لم تبدأ بفرز الجذور. جلست فقط، تنظر إلى الماء الجاري.

بعد صمت طويل قالت بجمل قصيرة واضحة:

ـ أنت... تبني سورًا عاليًا.

لكن عينك... ما زالت خارج السور.

تبحث عن شيء... أو شخص.

عمر لم ينكر.

ـ شخص.

فقدناه في مكان... بعيد جدًا.

ربما في زمن آخر.

سارا أومأت كأنها تفهم أكثر مما تقول الكلمات. مدّت يدها وأخرجت من جيبها الجلدي قلادة صغيرة مصنوعة من عظم منحوت وخيط متين، ووضعتها على الصخرة بينه وبينها.

ـ عندنا... عندما يذهب أحد إلى مكان لا نعرفه.

نترك شيئًا هنا.

حتى يجد الطريق... أو حتى نتذكر.

أخذ عمر القلادة. كانت خفيفة ودافئة من حرارة يدها. نظر إليها وقال بهدوء:

ـ شكرًا.

لم تبتسم. لكن عينيها السوداوين صارتا أقل صلابة للحظة. بقيت جالسة إلى جواره حتى بدأ القوم في الانسحاب. عندما نهضت، لمست كتفه مرة واحدة بسرعة، ثم انضمت إلى جماعتها.

في الجهة الأخرى من الضفة، كان أيمن والمرأة المقاتلة (التي صارت تُدعى بين الثلاثة «ريا» للتبسيط) يقفان تحت شجرة كبيرة. كانت ريا تختبر قوسًا جديدًا أصلحاه معًا في اللقاء السابق. أطلقت سهمًا فأصاب جذع شجرة بعيدة بدقة ملحوظة. أيمن أومأ بإعجاب صامت. هي رمت له السهم التالي دون كلام. أطلق. أصاب قريبًا من سهمها. للمرة الأولى منذ التقيا، ظهرت على وجهها ابتسامة قصيرة خاطفة قبل أن تعود إلى جديتها المعتادة.

عندما انتهت المجموعة من الاستعداد للرحيل، اقتربت ريا من أيمن ومدّت إليه قطعة صغيرة من لحم مجفف متبل بأعشاب حادة المذاق. قال لها بكلمة عربية واحدة:

ـ جيد.

هي ردت بكلمة من لغتهم تعني تقريبًا «أقوى»، ثم انسحبت مع القبيلة.

في الطريق العائد إلى القاعدة، كانت نانسي تقود السيارة بينما يجلس الرجلان في الخلف. لاحظت الصمت المختلف بينهما هذه المرة، لكنها لم تسأل. كان عقلها ما يزال مع القراءات الجديدة عن الهجينات التي صارت تقترب من السور ليلًا دون أن تثير المستشعرات بشكل عدواني.

بعد العشاء، جلس الثلاثة حول النار الصغيرة داخل السور كعادتهم.

قال أيمن وهو يحدق في الجمر:

ـ ريا... تعرف كيف تموت الأشياء هنا.

وتعرف كيف تُبقي نفسها حية.

هذا النوع من الناس... نادر.

عمر كان يدير القلادة العظمية بين أصابعه. قال بصوت أهدأ:

ـ سارا قالت شيئًا اليوم عن من يذهب إلى مكان مجهول.

كأنهم يفهمون الفقد بطريقتهم.

نانسي رمت عودًا في النار وقالت ببساطة:

ـ فقط انتبهوا.

هذا العالم لا يعطي شيئًا دون ثمن.

حتى الرفقة.

لم يعترض أحد.

لكن في تلك الليلة، بعد أن نامت نانسي وأيمن، بقي عمر جالسًا وقتًا أطول أمام الجمر الخافت، يمسك القلادة، ويشعر أن الجدار الذي بناه حول نفسه منذ انفجار أدونيس…

صار فيه شق صغير.

ليس ضعفًا.

بل مجرد اقتراب

من شيء كان يعتقد أنه مات فيه إلى الأبد.

وخارج السور، في معسكر القبيلة البعيد، كانت حسابات مماثلة تدور في صمت.

سارا كانت تنظر إلى جهة الهضبة دون أن تتكلم.

وريا كانت تشحذ سهمًا جديدًا تحت ضوء القمر،

وفي عينيها شيء لم يكن موجودًا في الأسابيع الأولى.

الاقتراب

كان قد بدأ.

والصيف

ما زال طويلاً.

هل ننتقل إلى الفصل الثامن من أحد الخطين؟

الفصل الثامن

القرار الصعب

الملاذ الآمن كان قبوًا قديمًا تحت ورشة مهجورة في أطراف المنطقة الصناعية.

قضوا فيه أربعة أيام. كريم كان يخرج بحذر مرة واحدة يوميًا لجلب الطعام والأخبار. عمر كان يراجع الملفات التي تمكنوا من تهريبها على جهاز لوحي معزول. شريف كان يكتب بلا توقف: تواريخ، أسماء، معادلات تقريبية، نتائج متوقعة لكل مرحلة من المشروع.

في الليلة الرابعة عاد كريم متأخرًا ووجهه شاحب.

ـ الأخبار سيئة.

الأمن الداخلي أعلن حالة طوارئ صامتة داخل المجمع. صوركم الثلاثة تُعمَّم على الوحدات الخاصة.

وهناك شائعات أن القيادة المركزية طلبت «حلًّا نهائيًا» للتهديد قبل أن يتسرب أي شيء إلى الصحافة أو إلى الدول الشريكة.

جلس الثلاثة حول مصباح يدوي واحد. الظلال طويلة على جدران القبو.

قال عمر وهو ينظر إلى الأوراق المنتشرة أمامه:

ـ خياران فقط الآن.

الأول: نختبئ أعمق. ننتقل من مكان إلى مكان، نجمع المزيد من الأدلة، ونحاول تسريبها تدريجيًا إلى جهات علمية مستقلة خارج البلاد.

الثاني: نضرب ضربة واحدة كبيرة. نسرّب كل شيء دفعة واحدة — الملفات، التسجيلات، شهادتي وشهادة كريم، وكل ما كتبه شريف — إلى أكبر عدد ممكن من الجهات في ساعة واحدة. ثم نختفي أو نحترق.

كريم مرر يده على وجهه.

ـ الخيار الثاني انتحار شبه مؤكد.

لكن الخيار الأول يعطيهم وقتًا ليطمسوا كل شيء ويغلقوا الثغرات التي كشفناها.

نظر الاثنان إلى شريف. كان صامتًا حتى الآن، يحدق في صفحة كتب فيها بخط واضح: «يونيو 2412 – آخر الرسائل».

رفع رأسه وقال بهدوء:

ـ أنا جئت إلى هنا لأوقف البذرة.

ليس لأعيش طويلاً في قبو.

إذا سرّبنا كل شيء الآن... قد نموت.

لكن المشروع سيتعرض لضربة لن يتعافى منها بسهولة.

إذا انتظرنا... قد أعيش أشهرًا إضافية، لكنهم سيصلحون الثغرات ويواصلون، وسأكون قد فشلت.

ساد صمت ثقيل.

عمر كان يفرك صدغيه. للمرة الأولى منذ هروبهم بدا عليه الإرهاق الحقيقي لا التوتر فقط.

ـ أنت تطلب مني أن أختار بين حياتك... وحياة عالم كامل لم يولد بعد.

ـ لا.

أنا أطلب منك أن تختار بين الخوف الذي تعرفه... والخوف الذي رأيته بعيني في 2412.

كريم قال بصوت خشن:

ـ إذا قررنا التسريب الشامل، فأنا أعرف ثلاث قنوات آمنة نسبيًا: صحفي استقصائي مستقل، منظمة علمية دولية، وضابط سابق في إحدى الدول الشريكة انقلب على المشروع قبل سنوات.

أستطيع إرسال الحزم خلال ست ساعات.

بعدها... يُصبح البقاء على قيد الحياة مسألة حظ.

عمر وقف ودار في القبو الضيق. توقف أمام شريف ونظر إليه طويلاً. في الضوء الخافت كان وجه الشاب يشبهه هو قبل سنوات طويلة... ويشبه امرأة كانت تضحك في مختبر قديم ذات يوم.

أخيرًا قال:

ـ نسرّب.

كل شيء.

اليوم قبل أن يصبح الغد متأخرًا أكثر.

شريف أغمض عينيه لحظة، ثم فتحها وأومأ.

كريم أخرج جهازًا صغيرًا مشفرًا من حقيبة مخفية وبدأ في ربط الملفات. بينما كان يعمل، نظر عمر إلى شريف وقال بصوت منخفض لا يصل إلا إليه:

ـ إذا نجونا...

فسأسألك عن أمك.

عن كيف كانت في السنوات التي لم أعشها معها.

وإذا لم ننجُ...

فاعلم أنني اخترت هذا وأنا أعرف الثمن.

شريف لم يرد بكلمات. فقط مدّ يده — لأول مرة منذ وصوله — وأمسك كتف أبيه الشاب ثانية واحدة قصيرة.

بعد أقل من خمس ساعات، أُرسلت الحزم الثلاث.

بعد ساعة أخرى، بدأت الشبكة الأمنية في المجمع تشتعل كخلية مضطربة.

وفي القبو تحت الورشة المهجورة، كان الثلاثة يجهزون للخروج الأخير...

وهم يعلمون أن القرار الصعب

قد أُتخذ.

وأن الزمن نفسه

سيقرر الآن

إن كان هذا الاختيار

إنقاذًا

أم مجرد طريقة أخرى

للهلاك.

هل تريد الفصل المقابل (الفصل الثامن من خط 2412 – الليالي)؟

الفصل الثامن (المقابل)

الليالي

جاء التحول في ليلة صيف حارة بلا قمر.

بعد المقايضة المعتادة عند النهر، لم تنسحب القبيلة كلها كالعادة. الرجل ذو الندوب أشار أن أربعة منهم سيبيتون هذه الليلة قرب الضفة «لحراسة الطريق» بسبب حركة ديناصورات كبيرة في الجهة الغربية. كان الاتفاق ضمنيًا: الهدنة تشمل هذه الليلة أيضًا.

مع غروب الشمس عاد عمر وأيمن ونانسي إلى القاعدة. نانسي انشغلت بمراجعة قراءات المستشعرات وإعادة ضبط نظام الإنذار، ثم أعلنت أنها ستنام نومًا مبكرًا بعد أيام طويلة من العمل. أغلقت باب الجزء الخلفي من المركبة خلفها.

أيمن نظر إلى عمر وقال بجملة واحدة فقط:

ـ أنا أمرّ على السور الغربي ثم أعود.

لا تنتظرني.

خرج.

بعد أقل من ساعة، عاد عمر يجلس وحده أمام النار الصغيرة داخل السور عندما سمع حركة خفيفة عند الفجوة الضيقة. رفع رأسه. كانت سارا تقف هناك، ملفوفة برداء جلدي خفيف، شعرها محلول على كتفيها. لم تحمل سلاحًا ظاهرًا. فقط نظرت إليه وانتظرت.

نهض عمر. اقترب منها. لم يتكلم في البداية. هي أيضًا لم تتكلم. فقط مدّت يدها وأمسكت طرف سترته بأصابع خشنة، ثم رفعَت عينيها إليه. في الضوء البرتقالي للنار كانت ملامحها واضحة: امرأة ناضجة، جسدها نحيل قوي من سنوات البقاء، وفي عينيها مزيج من الحذر والجوع الإنساني نفسه الذي كان يحمله هو.

دخلَا إلى الجزء الجانبي من المركبة حيث كانت هناك فراشات طوارئ قديمة. أغلق عمر الباب الخلفي بهدوء.

الليلة كانت بطيئة في بدايتها. قبلات قصيرة حذرة، أيدي تستكشف ببطء، ملابس تُزاح دون استعجال. عندما تعرّى جسدها أمامه وجدها مليئة بندوب قديمة وعلامات شمس وعضلات مشدودة. لم تكن ناعمة كنساء زمنه، لكنها كانت حقيقية ودافئة وتتنفس.

عندما دخلها أول مرة أغلقت عينيها وأصدرت صوتًا خافتًا من الحلق، ثم لفّت ساقيها حوله بقوة. تحركا ببطء في البداية، ثم أسرع، ثم ببطء مرة أخرى. كانت تمسك بكتفيه بقوة كافية لتترك آثارًا، وهو يدفن وجهه في عنقها ليشم رائحة الجلد والدخان والأعشاب البرية. انتهيا معًا في صمت شبه مطبق، فقط أنفاسهما المتسارعة تملأ المكان الضيق.

بعدها استلقيا متجاورين. لم يتحدثا عن الماضي ولا عن المستقبل. فقط بقيت يدها على صدره فترة طويلة قبل أن تنام نومًا خفيفًا.

في الجهة الأخرى من الهضبة، قرب حافة الغابة حيث كان هناك مخبأ صخري صغير يستخدمونه أحيانًا للمراقبة، كانت الليلة مختلفة الإيقاع.

أيمن وجد ريا في انتظاره كما لو أن الاتفاق كان قديمًا. لم تكن هناك كلمات كثيرة. هي جاءت إليه مباشرة، أمسكت بقميصه وسحبته نحوها، وقبّلته بعنف قصير. كانت

أقصر منه، لكن جسدها كان مشدودًا وسريع الاستجابة. خلعت ملابسها بسرعة عملية، ثم ساعدته في خلع ملابسه.

على الأرض الصلبة المفروشة بجلد حيوان، كانت العلاقة أكثر خشونة ومباشرة. هي كانت تقوده أحيانًا، تدفعه على ظهره وتركب فوقه بقوة، شعرها يتساقط على وجهه، ويدها تضغط على صدره. في مرات أخرى كان هو من يمسك بوراها ويتحكم في الإيقاع. كانت تعضّ كتفه عند الذروة الأولى، ثم تضحك ضحكة قصيرة خشنة قبل أن تبدأ من جديد. انتهيا مرتين قبل أن يستلقيا متعبين، عرقهما يختلط بغبار الصخور.

ريا أشعلت لفافة أعشاب صغيرة وأخذت نفسًا ثم مررتها إليه. قال لها بصوت أجش:

ـ غدًا... قد يعودون إلى الحذر.

هي ردت بكلمة واحدة من لغتهم تعني تقريبًا «الليلة لنا»، ثم نامت ورأسها على ذراعه.

مع أول ضوء فجر عادت سارا بهدوء نحو معسكر القبيلة قبل أن يستيقظ أحد في القاعدة. ريا اختفت بين الأشجار دون أثر.

عندما خرجت نانسي من المركبة في الصباح وجدت أباها جالسًا أمام النار المطفأة، يحدق في الرماد. أيمن عاد من دورية الصباح المبكر ووجهه أقل توترًا من المعتاد.

لم يسأل أحد أحدًا.

نانسي قدمت القهوة البدائية التي صنعوها من جذور محمصة، وبدأت في عرض قراءات الليل.

العمل استمر.

السور ما زال يحتاج إلى تعزيز.

الهجينات ما زالت تقترب في بعض الليالي.

والهدنة ما زالت هشة.

لكن شيئًا قد تغيّر في صمت.

عمر وأيمن لم يعودا يحملان الوحدة الثقيلة نفسها داخل جلدهما.

وفي الليالي التالية، عندما كانت القبيلة تقترب أو عندما كانت الفرصة تسمح، كانت تلك الساعات المسروقة تعود...

أقل حذرًا،

أكثر جوعًا،

وأكثر اعترافًا بأن الجسد

في هذا العالم المكسور

ما زال يحتاج إلى جسد آخر

حتى لا ينهار تمامًا.

الليالي

صارت جزءًا من البقاء.

مثل السور.

ومثل الخندق.

ومثل القرار اليومي

بأن يواصلوا العيش

رغم كل شيء.

هل ننتقل إلى الفصل التاسع من أحد الخطين؟

الفصل التاسع

التموج الأول

بعد أقل من ست ساعات على تسريب الحزم الثلاث، انقلب العالم فوق رؤوسهم.

كانوا قد غادروا القبو وانتقلوا إلى سيارة أخرى قديمة انتظرَتهم في طرف المنطقة الصناعية. كريم كان يقود في طرق فرعية مظلمة، وعمر يراقب الأجهزة المشفرة التي تظهر تقارير أولية متسارعة، وشريف يجلس في الخلف يحاول أن يلتقط أنفاسه.

في الساعة الثالثة فجرًا بدأت الرسائل تصل.

الصحفي الاستقصائي نشر ملخصًا أوليًا على منصته المستقلة قبل أن تُغلق حساباته. المنظمة العلمية الدولية أكدت استلام الملفات وأعلنت تشكيل لجنة مراجعة طارئة. الضابط السابق في الدولة الشريكة أرسل ردًا واحدًا مشفرًا: «الملفات وصلت. بدأت التحركات».

ثم جاءت الضربة المضادة.

في الساعة الخامسة فجرًا أُعلن عبر القنوات الأمنية الداخلية أن «مجموعة إرهابية علمية» سرقت بيانات حساسة وتهدد الأمن القومي للدول المشاركة. صُنّفت أسماؤهم الثلاثة كمطلوبين من المستوى الأعلى. وبدأت دوريات الطائرات المسيّرة الصغيرة تمسح المنطقة الصناعية.

عند الفجر اضطروا إلى ترك السيارة والاختباء داخل مستودع حبوب مهجور على أطراف المدينة. من نافذة عالية رأوا الدوريات تمر في الشوارع البعيدة.

كريم كان يراجع جهازه كل دقائق. قال بصوت مبحوح:

ـ التسريب وصل. لكنهم يطمسون بسرعة. بعض الجهات بدأت تتجاهل الملفات وتعتبرها مفبركة.

الوقت يعمل ضدنا.

عمر كان يقف قرب النافذة، وجهه شاحبًا في الضوء الرمادي. فجأة أمسك رأسه بيديه وتراجع خطوة.

ـ ماذا يحدث؟

شريف اقترب منه. كان عمر الشاب يتنفس بسرعة، عيناه غير مركزتين للحظة.

ـ رأيت…

رأيت الهضبة.

السور الحجري.

ونانسي... أكبر قليلًا مما أتذكر.

كانت تنظر إلى السماء كأنها تبحث عن شيء.

ثم اختفت الرؤية فجأة كما جاءت. عمر جلس على الأرض مستندًا إلى الجدار، العرق يبرق على جبينه.

شريف شعر بقشعريرة باردة.

ـ تموج.

ضعيف. جانبي.

التسريب والتغييرات التي أحدثناها بدأت تهز الخط الزمني.

الرؤى... أو الذكريات... من الجانب الآخر بدأت تتسرب.

كريم نظر إليهما بقلق:

ـ هل هذا يعني أننا نجحنا... أو أننا نكسر شيئًا أخطر؟

شريف لم يجب فورًا. كان يحدق في الهواء أمامه كأنه يحاول أن يمسك ببقايا الصورة التي وصفها عمر.

ـ لا أعرف بعد.

لكنني شعرت بشيء مشابه عندما عَبرتُ.

الزمن لا يحب أن يُمس.

وكلما دفعناه... يدفع مرة أخرى.

في الخارج مرّت مسيّرة منخفضة أضاءت المستودع بشعاع أبيض لثانية واحدة ثم ابتعدت. الثلاثة تجمدوا في أماكنهم حتى اختفى الصوت.

بعد ساعة من الصمت الثقيل قال عمر وهو يمسح وجهه:

ـ القرار اتخذناه. التسريب حدث.

الآن علينا أن نبقى أحياء طويلًا بما يكفي ل نرى إن كان لهذا معنى.

أو إن كنا فقط قد سرّعنا نهاية مختلفة.

شريف جلس إلى جواره على الأرض الباردة. لأول مرة منذ وصوله إلى 2099 لم يشعر أنه السجين أو اللاجئ فقط. شعر أنهما صارا شريكين في الجريمة نفسها... أو في الإنقاذ نفسه.

خارج المستودع كانت المدينة تستيقظ على يوم جديد مليء بالشائعات الأمنية والتكذيبات الرسمية.

وداخل المستودع المهجور، كان تموج زمني صغير قد لمس ثلاثة أشخاص هاربين...

وتركهم يعلمون أن الحرب الحقيقية

لم تعد ضد الأمن الداخلي فقط.

بل ضد الزمن نفسه

الذي بدأ يلاحظهم

ويرد.

هل تريد الفصل المقابل (الفصل التاسع من خط 2412 – التوازن)؟

الفصل التاسع (المقابل)

التوازن

بعد تلك الليلة، صارت الأمور أكثر تعقيدًا... وأكثر بساطة في الوقت نفسه.

الهدنة مع القبيلة استمرت. المقايضات صارت أكثر انتظامًا، وأحيانًا كانت سارا أو ريا تأتيان مع المجموعة دون أن تخفيا نظراتهـما. لم يعد أحد في القاعدة يتظاهر بأنه لا يلاحظ. نانسي كانت الأكثر صمتًا في الموضوع؛ اكتفت بمراقبة أبيها وأيمن بعينين هادئتين ثم تعود إلى أجهزتها.

في أحد الأفواج، بعد مقايضة طويلة، بقيت سارا وسارا فقط قرب الضفة بعد انسحاب الباقين بحجة «جمع أعشاب طبية». عاد عمر إلى القاعدة بعد ساعة ونصف، ورائحة جلدها ودخان أعشابها ما زالت عالقة في ملابسه. لم يسأل أحد. أيمن فقط ألقى عليه نظرة جانبية قصيرة ثم واصل شحذ سكينه.

في الليلة التالية خرج أيمن في «دورية» أطول من المعتاد. عاد قبيل الفجر، أثر خدوش خفيفة على كتفه ورائحة تراب الغابة على جلده. نام ساعتين فقط ثم نهض ليكمل تعزيز السور الشرقي كالمعتاد.

التوازن الجديد كان هشًا لكنه يعمل.

عمر وجد أن الساعات التي يقضيها مع سارا لا تمحو الذنب، لكنها تجعله أقل حدة لساعات. كانت تلمسه بطريقة عملية في البداية، ثم ببطء أكثر، ثم بجوع واضح يعترف بأنها هي أيضًا تحتاج إلى هذا الهروب القصير من عالم يقتل الضعفاء. في إحدى الليالي، بعد أن انتهيا، بقيت رأسها على صدره وقالت بجمل قصيرة:

ـ أنت... لست من هنا.

لكن جسدك... ينسى ذلك عندما ألمسه.

هو لم يرد بكلام كثير. فقط مرر يده في شعرها الخشن وترك الصمت يتكلم عنهما.

أيمن وريا كانا أكثر مباشرة وأقل كلامًا. لقاؤهما كان أشبه بمعركة قصيرة متفق عليها مسبقًا: قوة مقابل قوة، أنفاس حادة، ثم استرخاء ثقيل بعده. في مرة واحدة فقط، بعد أن انتهيا على جلد الحيوان تحت الصخور، نظرت إليه ريا وقالت كلمة واحدة من لغتهم تعني تقريبًا «لا تموت»، ثم نامت. هو بقي مستيقظًا يحدق في ظل الأشجار، يفكر أن هذه أول مرة منذ سنوات طويلة يقول له أحدهم شيئًا يشبه ذلك دون أن يطلب شيئًا في المقابل.

نانسي كانت تراقب التوازن من بعيد.

في أحد الأيام، بينما كان الثلاثة يعملون على إصلاح تسرب صغير في نظام تنقية المياه، قالت فجأة دون أن ترفع عينيها عن الأنابيب:

ـ أنا سعيدة أنكما تجدان شيئًا... أو شخصًا.

لكن تذكّرا أن القبيلة قد تنقلب في أي لحظة.

وأن أي ضعف يظهرانه أمامهم... قد يُستخدم ضدنا لاحقًا.

عمر توقف عن العمل ونظر إليها. كانت ملامحها جادة تمامًا، لا لوم فيها ولا سخرية.

ـ أعرف ـ قال ببساطة.

أيمن أضاف وهو يشد وصلة معدنية:

ـ ونحن لا نضع السلاح جانبًا عندما ننام بجانبهم.

ولا نخبرهم بمواقع المستشعرات.

التوازن... يبقى توازنًا طالما نحن من يمسك كفة الميزان.

نانسي أومأت مرة واحدة ثم عادت إلى عملها.

في داخلها كانت تفكر في الهجينات أكثر مما تفكر في أبيها أو أيمن. المخلوقات صارت تقترب ليلًا من السور وتترك آثارًا واضحة ثم تختفي. في مرتين وجدت ريشًا بدائيًا صغيرًا عند حافة الخندق، كأنها رسائل صامتة.

مع مرور الأيام صار الروتين الجديد واضحًا:

نهارًا: بناء، صيد، مقايضة، مراقبة.

ليلًا: حراسة متناوبة، وأحيانًا ساعات مسروقة مع سارا أو ريا عندما تسمح الظروف.

وبين الاثنين: محاولة عدم فقدان الحذر الذي أبقاهم أحياء حتى الآن.

في إحدى الليالي الهادئة، بعد أن عادت سارا إلى معسكرها ونام أيمن، جلس عمر ونانسي أمام النار الصغيرة.

قالت نانسي وهي ترمي عودًا في الجمر:

ـ هل تظن أنه... شريف... لو كان هنا، كان سيفهم؟

عمر نظر إلى اللهب طويلاً قبل أن يجيب:

ـ شريف كان سيفهم الحاجة.
لكنه كان سيخاف علينا من الثمن.
مثلما أخاف أنا الآن.

رفع عينيه إلى ابنته:

ـ وأنتِ؟ هل تغضبين؟

هزّت رأسها.

ـ لا.
أنا فقط... أتعلم أن البقاء له وجوه كثيرة.
بعضها قاسٍ.
بعضها دافئ.
وكلها مؤقتة على الأرجح.

ابتسم عمر ابتسامة حزينة قصيرة ومدّ يده ووضعها على كتفها لحظة.
ثم عاد الاثنان إلى الصمت، والنار، والسور الحجري الذي يحميهم...
والليل الذي صار أقل وحدة
وأكثر تعقيدًا
من أي ليل مضى منذ وصولهم إلى هذا العالم.

التوازن
كان قائمًا.
والصيف
كان يمضي.

والأسئلة الصعبة

كانت تنتظر الخريف.

هل ننتقل إلى الفصل العاشر من أحد الخطين؟

الفصل العاشر

الصدع

بعد ثلاثة أيام من الاختباء في مستودع الحبوب، اضطروا إلى التحرك مرة أخرى.

المسيّرات صارت تمر بوتيرة أعلى، وبدأت دوريات أرضية تفتش المستودعات واحدًا تلو الآخر. انتقلوا ليلًا إلى قبو أعمق تحت مبنى سكني مهجور في حي قديم على أطراف المدينة. المكان كان أضيق وأرطب، لكنه أبعد عن المناطق الصناعية التي كانت تُمسح باستمرار.

في الليلة الثانية هناك، حدث التموج الثاني... أقوى هذه المرة.

كان شريف نائمًا نومًا متقطعًا عندما استيقظ على صوت عمر الشاب وهو يلهث. فتح عينيه فوجد أباه جالسًا في الزاوية، يداه على رأسه، وجسده يرتجف خفيفًا.

ـ رأيتُها مرة أخرى ـ قال عمر بصوت مكسور ـ الهضبة... لكن أوضح.

كان هناك سور حجري أعلى. ونار صغيرة.

ونانسي تتحدث مع... مخلوق. شيء بريش وعينين ذهبيتين.

ثم رأيتُ رجلاً يشبهني... أكبر سنًا، يجلس بجانب امرأة من السكان الأصليين.

وكان أيمن هناك أيضًا... مصابًا قديمًا في كتفه.

اختفت الرؤية فجأة كما جاءت. بقي عمر يتنفس بصعوبة. كريم أيقظه الضوء الخافت وسارع إليهما.

شريف شعر أن الأرض تميد تحته رغم أنه جالس.

ـ التموجات تزداد.

التغييرات التي أحدثناها هنا... بدأت تنعكس هناك. أو العكس.

الخط الزمني لم يعد مستقرًا كما كان عندما وصلت.

كريم كان يراجع جهازه المشفر بسرعة.

ـ الأخبار من الخارج مختلطة. بعض المؤسسات العلمية بدأت تطالب بتحقيق مستقل حقيقي.

لكن الدول المشاركة تضغط باتجاه الإغلاق الأمني الكامل على الملف.

هناك شائعات عن أوامر اعتقال دولية صامتة.

في اليوم التالي جاء الدليل الأخطر.

تمكن كريم من اعتراض جزء من اتصالات داخلية مشفرة. كان التقرير يتحدث عن «شذوذ طيفي» سُجّل داخل المجمع في الليلة التي هربوا فيها، وفي الليالي التالية. العلماء في فريق التموج لاحظوا قراءات غير مفسرة... تشبه صدى لتموج قادم من مصدر مجهول.

عمر قرأ التقرير مرات عدة ثم رفع عينيه إلى شريف.

ـ هم بدأوا يشعرون بوجودك حتى بعد خروجك من المجمع.

الزمن نفسه يترك أثرًا.

شريف وقف ودار في القبو الضيق. كان الألم القديم في صدره قد عاد خفيفًا.

ـ إذا استمرت التموجات في الزيادة... قد يحدث أحد أمرين.

إما أن ينهار جزء من الخط الذي جئتُ منه، فيُمحى كل ما رأيته في 2412... بما في ذلك نانسي وأيمن والنسخة الأكبر منك.

أو أن ينفتح صدع أكبر يجذب المزيد من الأشياء من هناك إلى هنا... أو العكس.

ساد صمت ثقيل.

كريم كان أول من كسره:

ـ إذن نحن لا نلعب بمشروع عسكري فقط بعد الآن.

نحن نلعب ببنية الزمن نفسه.

عمر نظر إلى يديه ثم إلى شريف.

ـ عندما قررتُ تسريب الملفات، كنت أظن أن الثمن سيكون حياتنا نحن الثلاثة.

لم أكن أظن أن الثمن قد يكون وجود أشخاص آخرين في زمن آخر.

شريف جلس أمامه مباشرة.

ـ هذا هو الصدع.

كل قرار نأخذه هنا... يفتح شقًّا هناك.

وكل شق هناك... يرد علينا هنا.

نحن لم نعد خارج القصة.

صرنا داخلها من الجهتين.

في الخارج مرّت مسيّرة منخفضة أضاءت شقوق المبنى لثانية ثم ابتعدت. الثلاثة تجمدوا مرة أخرى حتى اختفى الصوت.

بعد ساعات، بينما كان كريم يحاول التواصل مع أحد مصادره، جلس عمر إلى جوار شريف وقال بصوت منخفض:

ـ إذا وصلنا إلى نقطة يصبح فيها وجودك هنا خطرًا مباشرًا على نانسي والآخرين...

هل تستطيع العودة؟

شريف نظر إلى الظلام أمامه طويلاً قبل أن يجيب:

ـ الممر الذي جئتُ منه انغلق خلفي.

ولا أعرف إن كان هناك طريق عودة.

كل ما أعرفه أنني إذا متُ هنا... فربما ينغلق الصدع.

أو ربما يتسع أكثر.

الليلة كانت طويلة وباردة داخل القبو.

وخارج المدينة، في المجمع الذي تركوه خلفهم، كانت أجهزة التموج تسجل قراءات جديدة غير مفسرة...

كأن شيئًا ما في بنية الزمن

قد بدأ يتصدع

حقًا.

هل تريد الفصل المقابل (الفصل العاشر من خط 2412 – التصاعد الخارجي)؟

الفصل العاشر (المقابل)

التصاعد الخارجي

جاء التحذير في ليلة بلا نجوم.

كانت المستشعرات هي أول من صرخ. عشرات النقاط الحرارية تتحرك معًا من الجهة الشمالية والغربية في وقت واحد. بعضها كبير وثقيل... ديناصورات. وبعضها أصغر وأسرع وأكثر انتظامًا في الحركة... بشر.

أيمن كان في نوبة الحراسة. أيقظ عمر ونانسي خلال ثوانٍ. لم يحتاجوا إلى كلام كثير. كانوا قد تدربوا على هذا السيناريو مرات.

ـ هجوم منسق ـ قال أيمن بصوت خشن وهو يوزع الأسلحة ـ القبيلة ليست وحدها هذه المرة. هناك شيء أكبر يدفع أو يُقاد نحوّنا.

اندفع الثلاثة إلى مواقعهم. أيمن على السطح العلوي للمركبة مع أقوى المسدسات الإشعاعية. عمر عند الباب الرئيسي يتحكم في الأضواء الكاشفة والألغام الاهتزازية المزروعة في الخندق. نانسي خلف الشاشات تنقل الإحداثيات بدقة متناهية.

ظهروا من بين الأشجار كالموجة.

ثلاثة تيرانوصورات يافعة في المقدمة، تركض بخطوات تهز الأرض، وخلفها أكثر من عشرين رجلاً وامرأة من قبائل مختلفة هذه المرة، يحملون رماحًا مشعلة وأقواسًا وقطعًا معدنية حادة. لم تكن مجموعة نهر الحجر الأسود وحدها. كانت تحالفًا مؤقتًا أو مجبرًا.

بدأ القتال في أقل من دقيقة.

أيمن أسقط أول تيرانوصور بطلقة دقيقة في العين وهو على بعد خمسين مترًا. الثاني وصل إلى الخندق وانزلق على الأشواك المعدنية فصار هدفًا سهلاً. الثالث قفز فوق الجزء الأضعف من الخندق واصطدم بالسور الحجري بقوة جعلت المركبة تهتز كلها.

في الوقت نفسه أمطرت السهام المشتعلة السور والمركبة. احترق جزء من العزل الخارجي. نانسي كانت تصرخ بالإحداثيات:

ـ أربعة من اليمين! اثنان يتسللان من الخلف قرب البركة!

عمر فجّر لغمين اهتزازيين أرسلا موجة صدم أسقطت ستة من المهاجمين وأربكت البقية. أيمن قفز من السطح إلى الجهة الخلفية في اللحظة الأخيرة وأطلق نارًا متصلة. سهم مشتعل أصاب ذراعه اليسرى واخترق البدلة الواقية. زمجر من الألم لكنه لم يتوقف.

استمرت المعركة أكثر من عشرين دقيقة بدت كساعات. عندما انسحب المهاجمون أخيرًا، تاركين خلفهم قتلى من الجانبين وجثة تيرانوصور واحد قرب الخندق، كانت القاعدة قد تحولت إلى خراب جزئي.

جانب المركبة الأيمن محطم ومتفحم. نظام الطاقة الاحتياطي يعمل بصعوبة. وأيمن يجلس على الأرض خارج الباب، الدم يسيل من ذراعه بينما يحاول عمر إيقاف النزيف.

نانسي كانت تقف تنظر إلى جثث المهاجمين القريبة. همست بصوت مكسور:

ـ لم تكن قبيلة سارا وريا فقط.

كان هناك آخرون... ربما أجبروهم أو تحالفوا ضدنا لأننا صرنا أقوى مما ينبغي في نظرهم.

أيمن رفع رأسه رغم الألم. صوته كان أجشّ لكنه واضح:

ـ الهدنة انتهت هذه الليلة.

حتى لو عادت سارا وريا غدًا... فالثقة لن تعود كما كانت.

عمر كان ينظر إلى الدمار حوله، ثم إلى السماء الرمادية التي بدأت تضيء مع الفجر. في مكان ما داخل صدره كان شيء ينكسر بهدوء: ليس فقط السور، بل الوهم بأنهم يستطيعون بناء توازن دائم في هذا العالم.

ـ نصلح ما يمكن إصلاحه الآن ـ قال بصوت عملي ـ

ثم نضاعف الحراسة.

ونستعد للمرة القادمة... لأنها ستأتي.

بينما كانوا يعملون على إيقاف النزيف وإطفاء آخر البقع المشتعلة، ظهرت حركة بعيدة عند حافة الغابة. شخصان فقط. توقفا على مسافة آمنة. كانت سارا وريا. لم تقتربا. فقط وقفتا تنظران إلى الدمار والقتلى، ثم اختفتا بين الأشجار دون إشارة.

نانسي رأتهم. لم تقل شيئًا.

لكنها فهمت أن الليالي المسروقة

قد أصبحت الآن أغلى...

وأخطر

مما كانت.

مع شروق الشمس كان الثلاثة منهكين ودمويين، لكنهم ما زالوا واقفين.

السور متضرر.

التحالف مكسور.

والعالم الخارجي

كان قد ذكّرهم مرة أخرى

بأن البقاء هنا

ليس مسألة جدران وهدن فقط.

بل مسألة استعداد دائم

لأن يدفعوا الثمن

كل ليلة من جديد.

هل ننتقل إلى الفصل الحادي عشر من أحد الخطين؟

الفصل الحادي عشر

الصدى

بعد الهروب من المستودع والانتقال إلى القبو الأعمق، صارت التموجات شبه يومية.

في الليلة الثالثة هناك رأى شريف الرؤية الأولى بنفسه.

كان نصف نائم عندما انفتح الهواء أمامه للحظة قصيرة. رأى الهضبة بوضوح هذه المرة: السور الحجري متضررًا في أحد جوانبه، دخانًا خفيفًا ما زال يتصاعد، وأيمن جالسًا بينما عمر يضمّد ذراعه. ثم رأى نانسي تقف تنظر إلى حافة الغابة... وهناك شخصان بعيدان يراقبان قبل أن يختفيا.

انغلقت الرؤية فجأة. شريف جلس يتنفس بسرعة، العرق يبلل ظهره.

عمر كان مستيقظًا أيضًا. نظر إليه وقال بصوت منخفض:

ـ رأيتَها أنت أيضًا هذه المرة.

أومأ شريف.

ـ المعركة حدثت هناك. أو تحدث الآن. أو حدثت قبل قليل حسب زمنهم.

التموجات لم تعد صدى ضعيفًا. صارت جسرًا قصيرًا في الاتجاهين.

كريم كان يراجع جهازه للمرة العاشرة في تلك الساعة. رفع رأسه فجأة، وجهه شاحبًا:

ـ الأخبار وصلت إلى مستوى أعلى مما توقعنا.

ثلاث دول مشاركة أعلنت تعليق تعاونها مؤقتًا في مشروع أورفيوس إلى حين «تحقيق مستقل».

لكن الدولة المضيفة اعتبرت التسريب عملًا عدائيًا.

صدرت أوامر اعتقال دولية حقيقية بأسمائنا الثلاثة... وصُنّفنا كتهديد وجودي للبحث العلمي الاستراتيجي.

سكت لحظة ثم أضاف:

ـ والأسوأ: داخل المجمع نفسه بدأت قراءات التموج تخرج عن السيطرة في التجارب المتبقية. فريق السلامة يطالب بالإغلاق الفوري. القيادة العسكرية ترفض وتتحدث عن «فرصة تاريخية».

عمر وقف ودار في القبو الضيق. كان الإرهاق واضحًا على وجهه، لكن عينيه كانتا حادتين.

ـ إذن نحن نجحنا جزئيًا.

المشروع يتصدع من الداخل بسبب الضغط الخارجي الذي صنعناه.

لكن الزمن نفسه بدأ يتصدع معنا.

نظر إلى شريف:

ـ الرؤى التي نراها... هل يمكن أن تؤذينا؟ أو تؤذيهم هناك؟

شريف مرر يده على وجهه.

ـ لا أعرف بالضبط.

لكن كل تموج يعني أن الحاجز بين الخطين صار أرق.

إذا استمر... قد نبدأ في التأثير المباشر أكثر مما نريد.

أو قد ينهار جزء من أحد الخطين بالكامل.

في تلك اللحظة حدث التموج الأقوى حتى الآن.

الهواء في وسط القبو تمزّق للحظة كزجاج رقيق. ظهرت صورة أوضح وأطول: نانسي تجلس قرب النار داخل السور المتضرر، تتحدث بصوت عالٍ مع عمر عن «الهدنة المكسورة» و«الثمن». ثم ظهرت سارا للحظة قصيرة في خلفية الصورة قبل أن تنغلق الفتحة فجأة مع صوت يشبه صفيرًا حادًا.

الثلاثة سقطوا على الأرض من قوة الصدمة الموجية الصغيرة التي رافقت الإغلاق.

كريم كان أول من نهض، الدم يسيل من أنفه.

ـ هذا... لم يعد رؤية.

هذا تداخل حقيقي.

شريف شعر أن شيئًا داخل رأسه ينبض بألم حاد. عندما تكلم جاء صوته مبحوحًا:

ـ الصدع يتسع.

إذا لم نجد طريقة لتثبيت أحد الخطين أو إغلاق الاتصال... فقد نفقد السيطرة تمامًا.

وقد نفقدهم هناك... أو نفقد أنفسنا هنا.

عمر مسح الدم من فوق شفته التي انشقت من السقطة. نظر إلى ابنه — أو إلى الرجل الذي يدعي أنه ابنه — وقال بصوت ثابت رغم كل شيء:

ـ إذن القرار الجديد هو:

إما أن نجد طريقة للعودة بك إلى هناك قبل أن ينهار كل شيء،

أو نكمل ما بدأناه هنا حتى النهاية... مهما كانت.

خارج القبو كانت المدينة تعيش يومًا عاديًا ظاهريًا، بينما في الغرف المغلقة كانت أجهزة الاستخبارات تطارد ثلاثة أشباح.

وداخل القبو، كان ثلاثة رجال يجلسون على أرض باردة، يشعرون للمرة الأولى أن الحرب لم تعد ضد الدولة أو المشروع فقط...

بل ضد الزمن نفسه

الذي صار يصرخ

من الجهتين.

هل تريد الفصل المقابل (الفصل الحادي عشر من خط 2412)؟

الفصل الحادي عشر (المقابل)

ما بعد الهجوم

مرّ يومان كاملان قبل أن يتمكنوا من إعادة الحد الأدنى من النظام إلى القاعدة.

السور المتضرر أُصلح جزئيًا بحجارة جديدة وطين وقطع معدنية من المركبة. نظام الطاقة الاحتياطي استقر بعد أن أعادت نانسي توصيل الدوائر ثلاث مرات. جرح أيمن في الذراع اليسار خُيط وطُهّر، لكنه ظلّ يتحرك بصعوبة ويستخدم يده اليمنى فقط في معظم المهام.

الصمت بين الثلاثة كان أثقل من أي صمت سابق.

في صباح اليوم الثالث ظهرت سارا وريا عند حافة الغابة مرة أخرى. وقفتا على مسافة آمنة، بلا سلاح ظاهر، ورفعتا الأيدي. أيمن كان أول من رآهما من موقع الحراسة. نادى عمر ونانسي.

خرج الثلاثة مسلحين هذه المرة، ووقفوا خلف الجزء المُصلح من السور.

سارا تقدمت وحدها بضع خطوات. صوتها جاء خشنًا وواضحًا أكثر من المعتاد:

ـ نحن... لم نكن جزءًا من الهجوم.
قبيلة أخرى... من الشمال. أجبرتنا... أو وعدتنا.
قلنا لا. هم جاؤوا وحدهم.
نحن... نأسف للدم.

ريا وقفت خلفها صامتة، عيناها على أيمن ثم على السور المحطم ثم على الأرض.

عمر لم يرد فورًا. كان يزن الكلمات. أخيرًا قال:

ـ الهدنة انكسرت.
سواء شاركتم أو لم تشاركوا... النتيجة واحدة.
الموتى عند خندقنا. والسور مهدم. والجرحى بيننا.

سارا أومأت ببطء.

ـ نعرف.
لذلك جئنا.
نعرض... تعويضًا. لحم. جلد. معرفة أماكن ماء جديدة.
ونراقب الشمال من جهتنا.
إذا جاؤوا مرة أخرى... نحذركم قبل أن يصلوا.

نانسي كانت تراقب الوجهين بعناية. قالت بهدوء لكنها حازمة:

ـ وكيف نثق؟

بعدما رأينا رماحًا من قبائل متعددة في الهجوم نفسه؟

ريا تكلمت لأول مرة، صوتها أقصر وأكثر خشونة:

ـ لا تثقوا.

راقبوا.

مثلما نراقب نحن.

بعد صمت طويل وافق عمر على قبول التعويض والمعلومات... بشرط واحد: أي اقتراب ليلي غير متفق عليه من جهتهما سيُعامل كعداء. سارا قبلت. تركتا سلالًا مليئة عند حافة الخندق وانسحبتا دون كلمة إضافية.

في الأيام التالية بدأت القاعدة تستعيد شيئًا من روتينها القديم... لكن مشوبًا بحذر جديد.

أيمن صار ينام أقل ويتحقق من الأسلحة مرتين في اليوم. نانسي قضت ساعات أطول مع أجهزة الاستشعار ومع الهجينات التي عادت تقترب ليلًا بعد انقطاع قصير أثناء المعركة. أما عمر فكان يعمل في صمت معظم الوقت، يصلح، يبني، ويجد نفسه بين الحين والآخر يفكر في سارا... ثم يطرد الفكرة ويعود إلى العمل.

في ليلة هادئة بعد أسبوع من الهجوم، جاءت سارا وحدها مرة واحدة. لم تدخل السور. وقفت عند الفجوة الضيقة وانتظرت. عمر خرج إليها. تحدثا قليلاً عن حركة الديناصورات في الشمال، ثم عن الجرحى، ثم عن لا شيء. في النهاية لمست يده لحظة قصيرة وقالت:

ـ أنت ما زلت حزينًا.

لكنك ما زلت هنا.

هذا... يكفي الآن.

ثم اختفت في الظلام.

في الليلة التالية خرج أيمن في «دورية». عاد بعد ساعات، أقل توترًا قليلاً مما كان منذ المعركة. لم يسأل أحد ولم يُخبر أحد.

نانسي لاحظت كل شيء كالعادة. في صباح اليوم التالي، بينما كان الثلاثة يأكلون إفطارهم البارد، قالت ببساطة:

ـ التوازن الجديد أخطر من القديم.

لأننا الآن نعرف أن الهدنة يمكن أن تُكسر في أي لحظة...

ونعرف أيضًا أننا ما زلنا نحتاج إليهم كما يحتاجون إلينا.

أيمن أومأ وهو يفحص الضمادة على ذراعه.

ـ لذلك نبني السور أعلى.

وننام بعين واحدة مفتوحة.

ونأخذ ما يُعطى... دون أن نسلم الرقبة.

عمر نظر إلى ابنته ثم إلى أيمن ثم إلى السور الذي صار أقوى مما كان قبل الهجوم. قال بصوت هادئ:

ـ نحن ما زلنا هنا.

وهذا في حد ذاته... انتصار مؤقت.

الباقي... يوم بيوم.

خارج السور كانت الغابة تعود إلى أصواتها المعتادة.

داخل السور كان الثلاثة يواصلون البناء والإصلاح والحراسة...

وهم يعلمون أن التصاعد الخارجي

لم ينتهِ.

هو فقط

قد هدأ قليلاً

قبل الجولة التالية.

هل ننتقل إلى الفصل الثاني عشر من أحد الخطين؟

الفصل الثاني عشر

الانهيار البطيء

بعد أسبوع من التموجات المتزايدة، صار البقاء في القبو الواحد خطرًا.

كريم رصد إشارات تدل على أن الوحدات الأمنية بدأت تستخدم تقنية تتبع طيفي جديدة قادرة على رصد «الشذوذ» الذي يتركه شريف خلفه. اضطروا إلى التنقل كل ليلتين: من قبو إلى مستودع إلى قبو آخر تحت كنيسة مهجورة في حي قديم.

في الليلة السابعة بعد الهروب الكبير، حدث التموج الأقوى حتى الآن.

كان الثلاثة مستيقظين هذه المرة. الهواء في وسط الغرفة تمزّق بصوت يشبه تمزق قماش سميك. ظهرت صورة أوضح وأطول من أي مرة سابقة: القاعدة على الهضبة، السور مُصلح جزئيًا، أيمن ذراعه معصوبة، عمر ونانسي يعملان، ثم ظهرت سارا للحظة عند حافة الغابة قبل أن تنغلق الفتحة فجأة مع موجة صدمية أسقطتهم جميعًا على الأرض.

عندما نهضوا كان أنف كريم ينزف بغزارة، وعمر يمسك رأسه بألم حاد، وشريف يشعر أن شيئًا داخل صدره ينبض بطريقة غير طبيعية.

قال شريف وهو يتنفس بصعوبة:

ـ الحاجز ينهار أسرع مما توقعت.

كل تموج يترك الشق أوسع.

إذا استمر بهذا المعدل… قد نبدأ في رؤية بعضهم لبعض بشكل مباشر، أو أسوأ: قد ينجذب أحد من هناك إلى هنا… أو العكس.

كريم كان يمسح الدم عن وجهه وهو ينظر إلى جهازه.

ـ الأخبار من الخارج وصلت إلى نقطة اللاعودة.
ثلاث حكومات أعلنت تعليق تمويلها للمشروع.
لجان تحقيق دولية تتشكل.
لكن الدولة المضيفة أغلقت المجمع بالكامل وحولته إلى منطقة عسكرية مغلقة.
أي محاولة اقتراب تُعامل كعمل حربي.

عمر رفع رأسه. كانت عيناه محمرتين من الألم وقلة النوم.

ـ إذن نجحنا في تأخيرهم أو إيقافهم جزئيًا.
لكن الثمن... هو أننا فتحنا جرحًا في الزمن نفسه.

نظر إلى شريف نظرة طويلة ثقيلة.

ـ أخبرني بصراحة.
هل هناك طريقة لإغلاق هذا الصدع من جهتنا؟
أو لإعادتك إلى هناك قبل أن ينهار كل شيء؟

شريف سكت لفترة طويلة. عندما تكلم جاء صوته أجشّ:

ـ الطريقة الوحيدة التي أعرفها كانت الجهاز في 2412... وقد دُمّر.
هنا في 2099 الجهاز ما زال في مراحله الأولى. أضعف بكثير.
إذا حاولنا تشغيله الآن بالقوة... قد نوسّع الصدع بدلًا من إغلاقه.
وقد نمحو خطًا زمنيًا بالكامل... بما في ذلك الخط الذي فيه نانسي وأيمن والنسخة الأكبر منك.

ساد صمت يشبه الصمت داخل قبر.

كريم كان أول من كسره:

ـ إذن الخيارات صارت أضيق.

نواصل الاختباء ونأمل أن تغلق التموجات نفسها مع الوقت... وهذا غير محتمل.

أو نحاول شيئًا يائسًا مع الجهاز الموجود داخل المجمع المغلق عسكريًا الآن.

أو... نقبل أن هذا هو الثمن، ونكمل تسريب ما تبقى من الأدلة حتى النهاية، ونترك الزمن يقرر من يبقى.

عمر وقف ودار في الغرفة الضيقة. توقف أمام شريف ووضع يده على كتفه للمرة الثانية فقط منذ التقيا.

ـ أنا لا أقبل أن يكون وجودك هنا هو السبب في محو ابنتي و... النسخة الأخرى مني.

إذا كان هناك حتى فرصة ضئيلة لإعادتك أو لإغلاق الصدع... فسنبحث عنها.

حتى لو كان الثمن دخولنا مرة أخرى إلى فم الأسد.

شريف نظر إلى اليد على كتفه ثم إلى وجه أبيه الشاب. لأول مرة منذ وصوله شعر أن العلاقة بينهما لم تعد مجرد مُحتجَز ومحقِّق، أو مسافر عبر الزمن وعالم خائف. صارت شيئًا أثقل... وأقرب إلى رابطة حقيقية في ظرف مستحيل.

خارج الكنيسة المهجورة كانت المدينة تعيش تحت إجراءات أمنية مشددة.

وداخلها، كان ثلاثة رجال يجلسون على أرض باردة، يعلمون أن الانهيار البطيء

قد بدأ.

وأن الزمن

لم يعد مجرد خلفية للأحداث...

بل صار خصمًا

يتنفس

من الجهتين.

هل تريد الفصل المقابل (الفصل الثاني عشر من خط 2412)؟

الفصل الثاني عشر (المقابل)

الجدران الأعلى

بعد أسبوعين من الهجوم، صارت القاعدة مختلفة.

السور ارتفع في الأماكن المتضررة إلى مترين ونصف، وزُرعت أشواك معدنية إضافية في قاع الخندق. أضيفت منصتان للمراقبة في الزاويتين الشمالية والشرقية. نانسي طوّرت نظام الإنذار ليصبح أكثر تمييزًا بين حركة الديناصورات وحركة البشر. أيمن درّب عمر ونانسي على إطلاق نار ليلي من مسافات مختلفة حتى صارا يصيبان الأهداف المتحركة بنسبة أعلى.

القبيلة عادت إلى المقايضة بعد عشرة أيام من الصمت. جاءت هذه المرة بعدد أقل، وبوجوه أكثر تحفظًا. سارا وريا كانتا ضمن المجموعة، لكنهما لم تبقيا بعد انتهاء التبادل كما كان يحدث أحيانًا قبل الهجوم. اكتفتا بنظرات قصيرة حذرة ثم انسحبتا مع الباقين.

في إحدى الليالي الهادئة، بعد أن نامت نانسي، خرج عمر إلى السور الغربي. وجد سارا تنتظر عند المسافة الآمنة المعتادة. لم تدخل. تحدثا وقوفًا عن حركة القطعان في الشمال، وعن قبيلة أخرى تبدو أكثر عدوانية، وعن الجرحى الذين ماتوا بعد الهجوم من الطرفين. في النهاية مدّت يدها وتركت في كفه قلادة عظمية جديدة أصغر من الأولى، ثم قالت:

ـ الجدران أعلى... جيد.

لكن لا تجعلها عالية جدًا حتى لا ترى من يأتي ليحذرك.

ثم اختفت.

في ليلة أخرى خرج أيمن وعاد بعد ساعات. لم يتكلم عن ريا، لكن التوتر في كتفيه كان أقل عندما جلس لينظف سلاحه عند الفجر.

نانسي كانت تقضي وقتًا أطول مع الهجينات. المخلوق الكبير والصغير صارا يقتربان من السور ليلًا ويجلسان على مسافة قريبة لساعات. في مرة واحدة سمحت نانسي لنفسها بالخروج وحدها تحت مراقبة أيمن من المنصة، وجلست على مسافة عشرة أمتار منهما. لم يحدث تواصل جسدي هذه المرة، لكن الكبير أصدر سلسلة أصوات

منخفضة بدت كأنها محاولة لنمط متكرر. نانسي سجلت كل شيء وعادت وهي تحمل في عينيها مزيجًا من الحذر والأمل العلمي.

في مساء اليوم الذي اكتمل فيه رفع السور الشرقي، جلس الثلاثة حول النار داخل القاعدة.

قال أيمن وهو يحدق في الجمر:

ـ الجدران صارت أعلى.

المخزون أفضل نسبيًا.

والقبيلة أبعد... لكنها لم تختفِ.

هذا أقصى ما نستطيع الآن.

أضافت نانسي:

ـ الهجينات تتغير.

سلوكها أقل عدوانية وأكثر... مراقبة.

كأنهما يتعلمان منا كما نتعلم منهما.

عمر كان يدير القلادة الجديدة بين أصابعه. قال بهدوء:

ـ نحن ما زلنا ثلاثة.

وما زلنا هنا.

وهذا في حد ذاته أكبر مما توقعت بعد ليلة الهجوم.

رفع عينيه إلى الاثنين:

ـ لكنني أشعر أن شيئًا يتغير في الهواء نفسه.

كأن العالم... أو الزمن... صار أثقل قليلاً.

هل تشعران به؟

نانسي وأيمن تبادلا نظرة. كلاهما شعر بشيء مشابه في الليالي الأخيرة: صداع خفيف غير مبرر، أو لحظات قصيرة من الدوار، أو أحلام غريبة فيها وجوه وأماكن لم يعرفاها.

نانسي قالت بصوت منخفض:

ـ أحلام.

رأيتُ مرة مختبرًا أبيض... ورجل يشبهك يا أبي لكنه أصغر.

ثم اختفى.

أيمن أضاف وهو يفرك جبينه:

ـ وأنا رأيتُ مدينة... ثم نارًا... ثم لا شيء.

عمر أغلق أصابعه على القلادة.

ـ إذن لسنا وحدنا في هذا الشعور.

شيء ما يتحرك... أبعد من الغابة والقبائل والديناصورات.

خارج السور كانت أصوات الليل المعتادة: زئير بعيد، حشرات، رياح.

داخل السور كان الثلاثة يجلسون أقرب إلى بعضهم من أي وقت مضى منذ اختفاء شريف،

وهم يعلمون أن الجدران الأعلى

تحميهم من المخالب والرماح...

لكنها قد لا تحميهم

من شيء آخر

بدأ يتسرب

من جهة لا يرونها بعد.

الصيف كان يقترب من نهايته.

والخريف

كان يخبئ

مفاجآته.

هل ننتقل إلى نقطة الالتقاء (الفصول 13 وما بعدها) أم تريد تعديلاً على ما سبق؟

الفصل الثالث عشر

الالتقاء الأول

(خط شريف – 2099)

في الليلة التاسعة بعد الهروب الكبير، لم يعد التموج مجرد رؤية.

كان الثلاثة في قبو تحت ورشة حدادة مهجورة على أطراف المدينة القديمة. كريم كان يحاول اعتراض إشارة مشفرة جديدة، وعمر يراجع خرائط المجمع للمرة العشرين بحثًا عن أي نقطة ضعف، وشريف يكتب ملاحظات عن التوقيت بين التموجات.

فجأة تمزّق الهواء في وسط الغرفة بقوة أكبر من أي مرة سابقة. هذه المرة لم تكن صورة صامتة. جاء صوت معها… ضعيف ومشوه، لكنه واضح:

ـ … أبي…؟

هل تسمعني…؟

كان صوت نانسي.

شريف قفز واقفًا. عمر تجمد في مكانه. كريم رفع رأسه فجأة وارتطم رأسه بالسقف المنخفض.

الفتحة كانت أصغر من إنسان، تتماوج كالسائل المعدني، ومن خلالها ظهرت صورة جزئية للقاعدة على الهضبة ليلًا: نار صغيرة، سور حجري، ووجه نانسي يقترب بذهول واضح وهي تنظر مباشرة نحوهم.

شريف صاح قبل أن يفكر:

ـ نانسي! أنا هنا! شريف!

الصورة اهتزت. صوتها جاء مجددًا، أوضح قليلاً هذه المرة:

ـ شريف...؟ أين أنت؟ نرى ضوءًا... ووجوهًا...

ثم انغلقت الفتحة فجأة مع صفير حاد وموجة صدمية أسقطتهم جميعًا. استغرق الأمر دقائق قبل أن يتمكنوا من التنفس بشكل طبيعي مرة أخرى.

عمر كان يمسك رأسه بكلتا يديه، الدم يسيل من أنفه هذه المرة.

ـ كانت... حقيقية.

سمعتها. سمعتني.

شريف شعر أن قلبه يكاد ينفجر.

ـ الحاجز صار رقيقًا بما يكفي للصوت.

إذا استمر... قد نتمكن من تمرير كلمات أو حتى أشياء صغيرة.

أو قد ينهار تمامًا في أي لحظة.

كريم كان يمسح الدم عن وجهه وهو ينظر إلى الجهاز الذي كان يحمله. الشاشة كانت مليئة بقراءات طيفية مجنونة.

ـ هذا لم يعد صدى.

هذا اتصال.

وإذا استطاع الأمن رصد هذه القراءات من هنا... فسيعرفون بالضبط أين نحن.

(خط الباقين – 2412)

في الليلة نفسها على الهضبة، كانت نانسي في نوبة الحراسة عندما شعرت فجأة بصداع حاد ودوار. رفعت رأسها نحو السماء ثم نحو الهواء أمام السور... ورأت الضوء.

فتحة صغيرة تتماوج، ومن خلالها وجوه... أحدها كان وجه أخيها.

صرخت باسمه. عمر وأيمن استيقظا واندفعا إليها. رأوا الفتحة للحظات قصيرة قبل أن تنغلق. سمعوا صوت شريف بوضوح هذه المرة.

بعد أن اختفى كل شيء، جلس الثلاثة على الأرض داخل السور، يتنفسون بسرعة.

نانسي كانت تبكي بصمت لأول مرة منذ أسابيع طويلة. قالت وهي تمسح وجهها:

ـ كان حيًا.

رأيته. سمعته.

هو هناك... في الزمن الآخر.

عمر وضع يده على كتفها. صوته كان مبحوحًا من الصدمة والأمل معًا:

ـ إذن التموجات لم تعد في اتجاه واحد.

نحن نستطيع أن نصل إليه... وهو يستطيع أن يصل إلينا.

أيمن كان يحدق في المكان الذي كانت فيه الفتحة، يده على سلاحه كعادة.

ـ أو أن شيئًا آخر يستطيع العبور أيضًا.
إذا صار الحاجز رقيقًا لهذا الحد... فقد لا يكون شريف الشيء الوحيد الذي يعبر.

سكت الثلاثة.
النار الصغيرة كانت ما تزال مشتعلة.
والليل حولهم كان مليئًا فجأة بمعنى جديد... وخطر جديد.

لأول مرة منذ انغلاق الممر في المختبر المدفون،
شعر الثلاثة أن شريف لم يعد مجرد ذكرى أو أمل بعيد.
صار قريبًا بما يكفي ليُسمع صوته.
والزمن نفسه
صار جسرًا هشًا
يمشي عليه الطرفان...
دون أن يعرف أحد
إن كان سيصمد
أم سينهار
تحت أقدامهم.

هل ننتقل إلى الفصل الرابع عشر؟

الفصل الرابع عشر
الجسر الهش

(خط شريف – 2099)

بعد الالتقاء الأول، صارت التموجات أكثر تواترًا وأطول مدة.

في القبو الجديد الذي انتقلوا إليه (تحت مبنى سكني مهجور في حي أقدم)، نجحوا في ثلاث ليالٍ متتالية في فتح اتصال قصير مع الجانب الآخر. في كل مرة كانت الفتحة أصغر من أن يعبر منها إنسان، لكنها كانت كافية للصوت والصورة الجزئية.

في الليلة الثالثة تمكن شريف من تمرير جملة كاملة قبل أن ينغلق الجسر:

ـ أنا مع عمر الشاب وكريم. نحاول إيقاف المشروع من هنا. هل أنتم بخير؟

جاء الرد مشوهًا لكنه مفهوم:

ـ نحن... ثلاثة. السور صامد بعد هجوم. أيمن جريح لكنه يعيش. نانسي تسمعك...

ثم انقطع كل شيء مع صفير موجع وموجة صدمية أقوى من السابق. اضطر كريم إلى إيقاف كل الأجهزة الإلكترونية لساعات لأن القراءات الطيفية صارت جنونية وقد تكشف موقعهم.

في الصباح التالي كان عمر الشاب يجلس أمام شريف مباشرة، عيناه محمرتين من الأرق.

ـ كل اتصال يقرّبنا منهم... ويقرب الأمن منا.

القراءات التي نتركها هنا صارت أوضح. إذا استمررنا بهذا المعدل فسيجدوننا خلال أيام.

شريف كان يفرك صدغيه من الصداع المزمن الذي بدأ يلازمه بعد كل تموج.

ـ أعرف.

لكنني سمعت صوتها يا أبي.

سمعتها حية.

لا أستطيع التوقف الآن.

كريم رفع رأسه من الجهاز:

ـ هناك خيار ثالث.

بدلاً من فتح الجسر عشوائيًا كل ليلة، نحاول تركيز التموج في وقت محدد ونقل رسالة واحدة طويلة ومشفرة... ثم نتوقف تمامًا لفترة.

نعطيهم معلومات عن كيفية تثبيت الحاجز من جهتهم إن أمكن، ونأخذ منهم معلومات عن حالة الجهاز المدمر هناك.

ثم نقرر الخطوة التالية بهدوء أكبر.

(خط الباقين – 2412)

على الهضبة، بعد ثلاث ليالٍ من الاتصالات القصيرة، كان الإرهاق واضحًا على الثلاثة.

نانسي صارت تنام ساعات أقل، تجلس قرب المكان الذي تظهر فيه الفتحة عادة، تنتظر. عمر كان يعاني من صداع متكرر ونزيف أنف خفيف بعد كل تموج. أيمن كان الأكثر تحفظًا؛ يصر على أن يبقى أحدهم دائمًا في وضعية دفاع كامل أثناء الاتصال، خوفًا من أن يعبر شيء آخر غير الصوت والصورة.

في الليلة الرابعة نجحت نانسي في تمرير تفاصيل أكثر:

ـ الجهاز هنا دُمّر بالكامل مع انهيار المختبر. لا طريقة معروفة للعودة من جهتنا. السور أقوى الآن. الهجينات تقترب دون عداء. القبيلة في هدنة هشة بعد هجوم كبير...

عندما انغلق الجسر هذه المرة، بقيت نانسي جالسة على الأرض تحدق في الهواء الفارغ وقتًا طويلاً.

قال عمر وهو يمسح الدم عن أنفه:

ـ هو حي. وهو يعمل.

وهذا يكفي لي لأواصل.

أيمن كان يفحص سلاحه كالعادة وقال بصوت خشن:

ـ يكفي... طالما أن الجسر لا يجلب لنا شيئًا أسوأ من الرسائل.
لأنني أشعر أن كل مرة نفتح فيها هذا الشيء... ندعو شيئًا لا نراه بعد.

في الليلة التالية لم يظهر أي تموج.
ولا في التي بعدها.
الصمت عاد ثقيلًا، لكن مختلفًا هذه المرة.
لم يعد صمت الفقدان الكامل...
بل صمت الانتظار
على جسر هش
قد ينهار في أي لحظة
أو قد يحمل في المرة القادمة
أكثر مما يستطيعون احتماله.

هل ننتقل إلى الفصل الخامس عشر؟

الفصل الخامس عشر
الثمن المتبادل

(خط شريف – 2099)

بعد أربعة أيام من الصمت المتعمد، قرروا المحاولة مرة أخرى... لكن بحذر أكبر.

اختاروا قبوًا أعمق تحت كنيسة مهجورة في أقصى أطراف المدينة القديمة. جهّز كريم أجهزة تشويش طيفي محدودة صنعها من قطع مسروقة. عمر رسم خريطة زمنية تقريبية بناءً على توقيت التموجات السابقة. شريف كتب رسالة قصيرة مركزة ليمررها بسرعة.

عندما فتح الجسر هذه المرة كان أوضح من أي مرة سابقة. ظهرت صورة شبه كاملة للقاعدة ليلًا: النار، السور، الثلاثة يقفون في انتظارهم.

شريف تكلم بسرعة:

ـ استمعوا جيدًا. المشروع هنا يتصدع تحت الضغط الدولي، لكن لم يتوقف بعد. التموجات تزداد لأن الخطين ي ذب أحدهما الآخر. إذا وجدتم أي بقايا للطاقة أو البلورات في أنقاض المختبر... حاولوا تثبيتها أو دفنها عميقًا. كل اتصال يضعف الحاجز أكثر.

من الجانب الآخر جاء صوت نانسي مشوهًا قليلًا:

ـ فهمنا. نحن بخير نسبيًا. أيمن يتحسن. الهجينات... تتصرف كأنها تحس بالتموجات أيضًا. تقترب أكثر كلما حدث اتصال.

ثم حدث شيء لم يخطط له أحد.

الفتحة توسعت فجأة بضعة سنتيمترات إضافية. موجة طاقة غير مرئية اندفعت في الاتجاهين. في 2099 سقط الثلاثة على الأرض مع نزيف من الأنوف وآلام حادة في الرأس. في 2412 سقط عمر ونانسي وأيمن كذلك، وشبّ حريق صغير في أحد الأسلاك القريبة من المركبة.

عندما انغلق الجسر بصعوبة، كان كريم يلهث وهو يقول:

ـ هذا لم يعد اتصالًا.

هذا تبادل طاقة حقيقي.

كل مرة ندفع فيها الثمن من أجسادنا... ومن استقرار الخطين.

عمر الشاب كان يمسك رأسه بكلتا يديه، صوته مبحوح:

ـ رأيتُ المزيد هذه المرة.

رأيتُ المرأة... سارا. كانت تقف بعيدًا تراقب.

ورأيتُ جرحًا قديمًا في ذراع أيمن.

الزمن يمر هناك أسرع أو أبطأ... لا أعرف.

شريف شعر أن شيئًا داخل صدره ينزف هذه المرة لا الأنف فقط. عندما تكلم كان صوته ضعيفًا:

ـ إذا استمررنا... قد نموت هنا قبل أن ننقذ أحدًا هناك.

أو قد نمحو خطهم بالكامل ونحن نحاول إنقاذه.

(خط الباقين – 2412)

على الهضبة، بعد انغلاق الجسر العنيف، أمضوا ساعة كاملة في إطفاء الحريق الصغير وفحص الإصابات. نانسي كانت تنزف من أنفها، عمر يعاني من صداع يشبه الطعن، وأيمن شعر بألم حاد في جرحه القديم رغم أنه كان قد التحم.

في الصباح التالي جاءت سارا وريا مع مجموعة المقايضة. لاحظتا الحالة المنهكة للثلاثة فورًا. سارا اقتربت من عمر أكثر من المعتاد ونظرت إلى وجهه الشاحب ثم قالت بصوت منخفض:

ـ عيناك... مثل من رأى موتًا ولم يمت.

ماذا يحدث في لياليكم؟

عمر لم يستطع شرح التموجات. اكتفى بأن قال:

ـ شيء... من بعيد.

يكلفنا ثمنًا كلما اقترب.

سارا لم تسأل المزيد. فقط تركت يدها على ذراعه ثانية أطول من المعتاد قبل أن تنسحب مع القبيلة.

في تلك الليلة لم يحاولوا فتح أي اتصال. جلسوا الثلاثة حول النار في صمت ثقيل.

قالت نانسي أخيرًا وهي تحدق في الجمر:

ـ كل مرة نسمعه... ندفع من صحتنا ومن استقرار هذا المكان.
لكنني لا أستطيع أن أقول له توقف.
هو أخي... وهو ما زال يقاتل من هناك.

أيمن كان يفحص الضمادة على ذراعه وقال بواقعية جافة:

ـ إذن نحدد عدد المرات.
مرة كل عشرة أيام كحد أقصى.
ونستعد أن الثمن سيزداد كل مرة.
لأن الجسر الهش هذا... لن يبقى مجانيًا إلى الأبد.

عمر أومأ ببطء.
كان يعرف أن القرار صحيح...
ويعرف أيضًا أن كل يوم يمر دون صوت شريف
يشبه فقدانًا جديدًا
لكن بصوت أبطأ.

خارج السور كانت الهجينات تقترب أكثر من المعتاد تلك الليلة، تجلس على مسافة قريبة كأنها تحس بالاضطراب في الهواء.
وداخل السور كان الثلاثة يزنون الثمن المتبادل...
بين أن يسمعوا صوت من فقدوه
وبين أن يحافظوا على ما تبقى
من أجسادهم
ومن عالمهم الهش.

هل ننتقل إلى الفصل السادس عشر؟

الفصل السادس عشر

الحدّ

(خط شريف – 2099)

بعد التموج العنيف الأخير، فرضوا على أنفسهم صمتًا إجباريًا لمدة اثني عشر يومًا.

كانت الأيام ثقيلة. الصداع المزمن لم يختفِ تمامًا عند أي منهم. كريم كان يخرج بحذر شديد مرة كل يومين فقط لجلب الطعام والأخبار. الأخبار كانت مختلطة: المشروع الرسمي تحت تحقيق دولي مشدد، لكن جناحًا عسكريًا متشددًا داخل الدولة المضيفة بدأ تجارب سرية موازية في موقع بديل غير معلن.

في اليوم الثالث عشر قرروا المحاولة مرة واحدة... ثم التوقف لفترة أطول.

جهّزوا الرسالة مسبقًا: قصيرة، مركزة، ومحددة.

عندما فتح الجسر كان أضعف من المرة السابقة، كأن الحاجز نفسه يقاوم. ظهرت صورة مشوشة للقاعدة. شريف تكلم بسرعة قبل أن ينغلق:

ـ نستمر في الضغط هنا. المشروع الرسمي متعثر. لكن هناك تجارب سرية جديدة. لا تفتحوا الاتصال إلا كل خمسة عشر يومًا كحد أقصى. الثمن يزداد. أخبروني إن وجدتم أي تغير في سلوك الهجينات أو في السماء نفسها.

من الجانب الآخر جاء صوت نانسي مقطوعًا:

ـ فهمنا... الحدّ... الهجينات تتغير... السماء...

ثم انغلق الجسر مع صفير أقل حدة هذه المرة، لكن الموجة الصدمية ما زالت كافية لتسقطهم أرضًا وتنزف أنوفهم من جديد.

بعدها جلس الثلاثة في صمت طويل.

قال عمر الشاب وهو يمسح الدم:

ـ كل مرة أشعر أنني أقترب من نانسي... أشعر أنني أقتلها ببطء في الوقت نفسه.

هذا الحدّ ضروري.

حتى لو كان يشبه قطع طرف حي.

شريف لم يرد فورًا. كان يحدق في الهواء الفارغ حيث كانت الفتحة.

ـ أعرف.

لكنني أخاف أن الصمت الطويل... يجعل الخطين يبتعدان مرة أخرى إلى الأبد.

كريم أغلق الأجهزة وقال بواقعية:

ـ أو يمنحنا وقتًا لنجد طريقة أقل انتحارية.

لأننا إذا واصلنا بهذا الإيقاع فسنموت هنا قبل أن ينتهي المشروع أو ينجو أحد هناك.

(خط الباقين – 2412)

على الهضبة التزموا بالحدّ.

مرت خمسة عشر يومًا دون أي محاولة لفتح الجسر. الصداع اختفى تدريجيًا، والنزيف توقف، والنوم عاد جزئيًا. لكن الفراغ الذي تركه صوت شريف كان أثقل من الصداع نفسه.

في اليوم السادس عشر فتحوا الاتصال للمرة المتفق عليها.

كانت الرسالة قصيرة هذه المرة أيضًا. نانسي مررت ما طلبوه: الهجينات صارت أقرب وأكثر هدوءًا، كأنها تحس بالتموجات وتحاول فهمها. السماء تميل إلى الرمادي أكثر في بعض الأيام دون سبب مناخي واضح. السور صامد. الهدنة مع القبيلة قائمة لكن باردة.

عندما انغلق الجسر، جلست نانسي وقتًا أطول من المعتاد تحدق في المكان الفارغ.

قال عمر وهو يضع يده على كتفها:

ـ هو ما زال يقاتل.

ونحن ما زلنا هنا.

هذا هو الحدّ الذي نملكه الآن.

أيمن كان يقف الحراسة كالعادة، ظهره إليهما، وقال دون أن يلتفت:

ـ الحدّ يحمينا.

لكنه لا يُنهي الحرب.

شيء ما يتغير في هذا العالم منذ بدأت التموجات... وأنا لا أحب ما لا أفهمه.

في الليلة التالية جاءت سارا وحدها إلى المسافة الآمنة. عمر خرج إليها. لاحظت الإرهاق المزمن في وجهه رغم الأيام الهادئة نسبيًا. لم تسأل عن التفاصيل. فقط وقفت إلى جواره في الصمت لفترة، ثم قالت قبل أن تنسحب:

ـ أنت تحارب شيئًا لا يُرى.

هذا أخطر من الديناصورات.

اعتنِ بما تبقى منك.

عادت إلى الظلام.

عمر بقي عند السور وقتًا أطول، يشعر أن الحدّ الذي فرضوه

يحمي الأجساد...

لكنه يترك الأرواح

على حافة جسر

قد ينهار

في أي لحظة صمت

أطول مما ينبغي.

هل ننتقل إلى الفصل السابع عشر؟

الفصل السابع عشر

الضغط من الجهتين

(خط شريف – 2099)

بعد الحدّ الذي فرضوه، مرت ثلاثة أسابيع من الصمت النسبي.

التموجات لم تختفِ تمامًا؛ كانت تأتي أحيانًا كصداع مفاجئ أو ومضة بصرية قصيرة، لكنها لم تعد تفتح جسرًا كاملًا. هذا منحهم وقتًا للتحرك بحذر أكبر.

ثم جاء الخبر الذي غيّر المعادلة.

كريم عاد من خروجه الليلي ووجهه شاحب كالموت. أغلق الباب خلفه وقال بصوت منخفض جدًا:

ـ الجناح العسكري المتشدد نجح في تشغيل نموذج أولي صغير في الموقع البديل السري.

تموج مضبوط استمر أربع ثوانٍ فقط... لكنه سُجّل.

وهم يعتبرونه دليلًا على أن المشروع يجب أن يستمر بأي ثمن.

التحقيق الدولي لن يوقفهم الآن. سيختفون تحت الأرض أعمق.

عمر الشاب ضرب قبضته في الجدار حتى أدمت.

ـ إذن كل ما فعلناه أخّرهم فقط.

ولم يوقفهم.

شريف كان يجلس في الزاوية، الصداع المزمن يضرب صدغيه.

ـ إذا نجحوا في بناء جهاز مستقر هناك... فالكارثة التي رأيتها في 2412 ستحدث بشكل مختلف فقط، لا أكثر.

وربما أسرع.

نظر إلى الاثنين:

ـ خيارنا الأخير قد يكون الدخول مرة أخرى إلى المجمع الأصلي... أو إلى الموقع البديل.

ليس لتسريب معلومات هذه المرة.

بل لتعطيل أو تدمير ما يستطيعون بناءه قبل أن يستقر.

كريم نظر إليه كأنه مجنون.

ـ هذا انتحار مباشر. المجمع الأصلي منطقة عسكرية مغلقة الآن، والموقع البديل لا نعرف حتى إحداثياته الدقيقة.

عمر مسح الدم عن قبضته وقال بصوت ثابت:

ـ انتحار... أو انتظار النهاية التي جاء شريف ليمنعها.

سأفكر في الأمر الليلة.

غدًا نقرر.

(خط الباقين – 2412)

على الهضبة كان الضغط من نوع مختلف.

بعد أسابيع من الحدّ في الاتصالات، بدأت تغيرات بيئية واضحة. السماء صارت تميل إلى الرمادي الداكن لأيام متتالية دون غيوم مطر. بعض النباتات حول القاعدة ذبلت بطريقة غير موسمية. والهجينات صارت تقترب كل ليلة وتجلس لساعات طويلة، تنظر إلى السماء أحيانًا كأنها تنتظر شيءًا.

في أحد الأفواج وصلت ريا وحدها إلى المسافة الآمنة وأشارت لأيمن. عندما اقترب قالت له بجمل سريعة مكسورة:

ـ قبائل الشمال... تتحرك.

كثيرون.

يتحدثون عن «السماء المريضة» و«الناس الذين يجلبون الغضب».

يحملونكم المسؤولية.

أيمن نقل الكلام فورًا. اجتمع الثلاثة داخل المركبة.

نانسي قالت وهي تنظر إلى القراءات:

ـ التموجات تؤثر على أكثر منّا.

الهجينات تحس بها. النباتات تتأثر. وحتى القبائل البعيدة بدأت تربط بيننا وبين التغيرات.

عمر مرر يده على وجهه.

ـ إذن نحن لا ندفع الثمن في أجسادنا فقط.

العالم كله هنا بدأ يدفع.

وإذا استمرت التموجات... قد لا تهاجمنا قبائل الشمال فقط.

قد يهاجمنا هذا الكوكب نفسه بطريقة ما.

أيمن كان يفحص مخزون الأسلحة وقال بواقعية باردة:

ـ نضاعف الحراسة.

نجهز خطة إخلاء سريع إلى موقع ثانٍ إن لزم.

ونحدد الاتصال القادم مع شريف... إن كان لا يزال ممكنًا.

لأن الضغط من الجهتين

بدأ يضيق الخناق

أسرع مما توقعنا.

في تلك الليلة جلست الهجينات أقرب من أي وقت مضى إلى السور. المخلوق الكبير رفع رأسه نحو السماء الرمادية وأصدر صوتًا طويلًا منخفضًا لم يسمعوه من قبل...

كأنه تحذير

أو نداء

لشيء قادم

من بعيد.

هل ننتقل إلى الفصل الثامن عشر؟

الفصل الثامن عشر

نقطة اللاعودة

(خط شريف – 2099)

في صباح اليوم التالي للخبر عن التجارب السرية، اتخذوا القرار.

جلس الثلاثة في القبو حول مصباح واحد. الخرائط والملفات المسروقة منتشرة أمامهم. وجوههم شاحبة من الأرق والتموجات المتراكمة.

قال عمر الشاب بصوت خشن لكنه حاسم:

ـ إذا تركنا الجناح العسكري يكمل النموذج الأولي... فكل ما فعلناه يصبح مجرد تأخير.

الخيار الوحيد المتبقي هو تعطيل المصدر.

المجمع الأصلي ما زال يحتوي على المولدات الرئيسية والبيانات الأساسية. إذا دمرنا أو عطلنا قسم التموج هناك... قد نوقف الموقع البديل أيضًا لأنه يعتمد على نفس المعادلات الأساسية.

كريم كان يهز رأسه ببطء:

ـ الدخول الآن يعني الموت بنسبة تسعين في المئة على الأقل.

المجمع محاط بثلاث حلقات أمنية، دوريات آلية، ومسيّرات حرارية.

شريف رفع رأسه من الأوراق. كان الصداع يضربه بقوة، لكنه تجاهله.

ـ أنا جئت من المستقبل لأوقف هذا.

إذا مت هنا وأنا أحاول... أفضل من أن أعيش وأشاهد الكارثة تتكرر بشكل مختلف.

لكنني لن أجبر أحدًا.

أنتم لستم ملزمين بذنبي أو بذنبه.

نظر إلى عمر الشاب:

ـ أنت أبي في خط زمني آخر... لكنك لست ملزمًا أن تموت من أجلي.

ساد صمت طويل.

ثم قال عمر بهدوء غريب:

ـ أنت تحمل وجه أمي في عينيك.

وتحمل معرفة نهاية العالم في رأسك.

إذا كان هناك فرصة حتى لو واحد في المئة... فأنا داخل.

كريم؟

كريم أغمض عينيه لحظة ثم فتحهما.

ـ أنا من سرّب الملفات الأولى.

أنا من ساعد في الهروب.

إذا توقفت الآن أصير جبانًا في عيني نفسي.

داخل.

لكن بخطة. لا انتحار أعمى.

بدأوا يرسمون الخطة فورًا: توقيت، نقطة دخول خلفية قديمة من أيام البناء، تشويش مؤقت، هدف محدد داخل قسم التموج، وخطة خروج شبه مستحيلة.

بينما كانوا يعملون، شعر شريف بتموج خفيف مفاجئ. ومضة قصيرة جدًا: نانسي تنظر إلى السماء الرمادية، وجهها قلق. ثم اختفت.

همس لنفسه:

ـ انتظرينا قليلًا...

نحن قادمون إلى نقطة اللاعودة.

(خط الباقين – 2412)

على الهضبة وصل التوتر إلى ذروته.

قبائل الشمال لم تهاجم بعد، لكنها صارت تظهر على التلال البعيدة كل يومين أو ثلاثة، تراقب. السماء الرمادية صارت تستمر أيامًا أطول. بعض مصادر المياه القريبة بدأت تتغير طعمها قليلاً. والهجينات صارت تقضي الليل كله تقريبًا قرب السور، ترفض المغادرة حتى الفجر.

في إحدى الليالي جاءت سارا وريا معًا إلى المسافة الآمنة. كانتا تحملان أخبارًا سيئة.

قالت سارا لعمر مباشرة:

ـ قبائل الشمال يتحدثون عن «إزالة المرض».

يقصدونكم.

يجمعون أعدادًا.

ربما عشرة أيام... أو أقل.

ريا نظرت إلى أيمن وأضافت:

ـ بعض مجموعاتنا رفضت الانضمام إليهم.

بعضها لم ترفض.

الهدنة... قد لا تحميكم هذه المرة.

بعد أن انسحبتا، اجتمع الثلاثة داخل المركبة تحت ضوء خافت.

نانسي كانت تعرض القراءات:

ـ التغيرات البيئية تتسارع منذ زادت التموجات.

الهجينات تتصرف كأنها في حالة إنذار مستمر.

إذا هاجمتنا قبائل الشمال مع ديناصورات مدفوعة أو مستدرجة... قد لا يصمد السور هذه المرة.

أيمن قال بصوت عملي جاف:

ـ نجهز خطة إخلاء إلى الكهوف الشرقية التي اكتشفناها الشهر الماضي.

نقلل المخزون الظاهر.

ونحدد إن كنا سنفتح اتصالًا أخيرًا مع شريف قبل أن نتحرك... أو بعد.

عمر كان يحدق في القلادة العظمية بين أصابعه. ثم رفع عينيه وقال:

ـ نفتح اتصالًا واحدًا أخيرًا.

نخبره بما يحدث هنا.

ثم نقرر إن كنا سنبقى نقاتل على هذه الهضبة...

أو نرحل قبل أن تصبح مقبرتنا.

في تلك الليلة جلست الهجينات أقرب من أي وقت مضى. المخلوق الكبير نظر مباشرة إلى نانسي عبر الظلام وأصدر الصوت المنخفض الطويل مرة أخرى...

كأنه يوافق

أو يحذّر

أو ينعي

شيئًا لم يحدث بعد.

نقطة اللاعودة

كانت تقترب

من الجهتين

في الوقت نفسه.

هل ننتقل إلى الفصل التاسع عشر؟

الفصل التاسع عشر

الليلة قبل العاصفة

(خط شريف – 2099)

قضوا ثلاث ليالٍ كاملة في التحضير النهائي.

الخطة كانت بسيطة ويائسة في آن واحد: دخول من نفق صيانةٍ قديم في الجهة الجنوبية الغربية من المجمع، كان يُستخدم في مرحلة البناء ثم أُغلق رسميًا. كريم كان قد احتفظ بإحداثياته من أيام عمله الأولى. التشويش الطيفي المحدود سيمنحهم سبع دقائق إلى عشر كحد أقصى قبل أن تُكتشف البصمة. الهدف: غرفة المولدات الثانوية في قسم التموج. زرع متفجرات صغيرة مصنوعة يدويًا من مواد مسروقة، ثم الخروج إن أمكن... أو التأكد من الضرر قبل أن يُقبض عليهم أو يُقتلوا.

في الليلة الأخيرة قبل التنفيذ، جلس الثلاثة في القبو الأخير. لم يكن هناك الكثير ليُقال.

كريم كان يفحص المتفجرات للمرة الأخيرة وقال بصوت جاف:

ـ إذا نجحت الخطة بنسبة ثلاثين في المئة فسأعتبرها معجزة.

إذا خرج واحد منا فقط حيًا... فليكن هو من يحمل القصة.

عمر الشاب نظر إلى شريف طويلاً. ثم مدّ يده ووضع شيئًا صغيرًا في كفه: صورة قديمة مطبوعة باهتة لامرأة شابة تضحك أمام مختبر.

ـ أمك.

التقطتها قبل أسبوع من بدء المرحلة الأولى للمشروع.

كنت أحتفظ بها في محفظتي طوال السنوات.

إذا لم نخرج... أريدها معك.

شريف أمسك الصورة بأصابع مرتجفة. للمرة الأولى منذ وصوله إلى 2099 شعر أن الدموع قد تخرج. ابتلعها وقال بصوت مبحوح:

ـ سأعيدها إليك عندما نخرج.

كلاكما.

ثم أضاف بهدوء:

ـ وإذا لم نخرج... فاعرف أنني لم أندم على المجيء.

في الخارج كانت المدينة نائمة تحت إجراءات أمنية مشددة.
وداخل القبو كان ثلاثة رجال يجهزون آخر أسلحتهم وأجهزتهم...
وهم يعلمون أن الليلة التالية
إما أن تغيّر مسار المشروع إلى الأبد
أو تمحوهم من القصة
تمامًا.

(خط الباقين – 2412)

على الهضبة كانت الليلة هادئة بشكل مخيف.

قبائل الشمال ظهرت عند الغروب على ثلاث تلال محيطة، أعدادهم أكبر من أي مرة سابقة. أشعلوا نيرانًا بعيدة وبقوا يراقبون في صمت. لم يهاجموا. كانوا ينتظرون.

داخل السور جهّز الثلاثة كل شيء: مخزون طوارئ مُعدّ للإخلاء السريع، أسلحة موزعة، مسار محدد نحو الكهوف الشرقية، وإشارة متفق عليها مع الهجينات إن أمكن (نانسي كانت قد نجحت في ربط بعض الأصوات البسيطة بردود فعل من المخلوق الكبير).

قبل منتصف الليل فتحوا الاتصال الأخير المتفق عليه مع الجانب الآخر.

الجسر كان ضعيفًا ومتقطعًا. ظهرت صورة مشوشة لشريف وعمر الشاب وكريم وهم يتجهزون. نانسي تكلمت بسرعة:

ـ قبائل الشمال تحاصرنا. هجوم كبير متوقع خلال ساعات أو أيام. التغيرات البيئية تتسارع. سنحاول الصمود أو الإخلاء إلى كهوف. أنتم...؟

جاء الرد مقطوعًا من شريف:

ـ غدًا... ندخل المجمع. محاولة أخيرة لوقفهم من الجذر. إذا نجحنا... قد تهدأ التموجات. إذا فشلنا...

انغلق الجسر فجأة مع صفير موجع. سقط الثلاثة على الأرض مرة أخرى، لكنهم نهضوا بسرعة هذه المرة. لم يكن هناك وقت للألم.

أيمن مسح الدم عن أنفه وقال:

ـ إذن هم أيضًا يذهبون إلى حربهم غدًا.

ونحن إلى حربنا.

عمر نظر إلى السور ثم إلى النار ثم إلى ابنته.

ـ مهما حدث غدًا...

نحن لم نستسلم حتى الآن.

وهذا يكفي لهذه الليلة.

نانسي خرجت للحظة إلى السور. الهجينات كانت جالسة على مسافة قريبة جدًا. المخلوق الكبير نظر إليها وأصدر الصوت المنخفض الطويل مرة أخيرة...

كأنه يقول إنه سيكون هناك

عندما تبدأ العاصفة.

الليلة كانت هادئة.

هادئة جدًا.

والعاصفة

كانت تنتظر

الضوء الأول

فقط.

هل ننتقل إلى الفصل العشرين (بداية الذروة)؟

الفصل العشرون

العاصفة

(خط شريف – 2099)

دخلوا في الساعة الثالثة فجرًا.

النفق القديم كان أضيق وأوسخ مما توقعوا. زحفوا أكثر من مئتي متر في الظلام شبه الكامل، أجهزة التشويش تعمل بصعوبة. عندما خرجوا إلى ممر صيانة داخلي في المجمع، كانت الصفارات قد بدأت تطلق إنذارًا خافتًا في مكان بعيد... لكن ليس عليهم بعد.

كريم قاد الطريق من الذاكرة. عمر كان يحمل الحقيبة الثانية للمتفجرات. شريف في المؤخرة يراقب الخلف.

وصلوا إلى قسم التموج في سبع دقائق وثلاثين ثانية. الغرفة كانت شبه مظلمة، أجهزة المراقبة تعمل على الوضع الليلي. بدأ كريم وعمر في زرع الشحنات على المولدات الثانوية ونقاط البيانات الرئيسية بينما كان شريف عند الباب يراقب الممر.

في الدقيقة التاسعة انطلق الإنذار العام.

أضواء حمراء. صفارات decibels عالية. صوت خطوات آلية تقترب بسرعة.

ـ انتهوا الآن! ـ صاح شريف.

كريم فعّل المؤقتات: تسعون ثانية. اندفع الثلاثة للخروج من نفس الطريق. خلفهم بدأت طلقات أسلحة طاقة تمزق الهواء. أصيب كريم في كتفه الأيسر وسقط، ثم نهض بمساعدة عمر. شريف أطلق النار من مسدس طاقة مسروق لتأخير المطاردين.

عندما وصلوا إلى فوهة النفق حدث الانفجار.

هزة عنيفة هزت الأرض كلها. جزء من السقف انهار خلفهم. خرجوا إلى الهواء الطلق وهم يسعلون من الغبار والدم. المركبة التي أخفاها كريم سابقًا كانت لا تزال في مكانها. ركبوا وانطلقوا قبل أن تصل المسيّرات الأولى.

خلفهم كان جزء من جناح التموج يحترق ويطلق شرارات طاقة غير مستقرة نحو السماء.

(خط الباقين – 2412)

بدأ الهجوم مع أول ضوء فجر رمادي.

قبائل الشمال جاءت من ثلاث جهات هذه المرة، ومعهم ديناصورات أكثر عددًا: تيرانوصورات يافعة، وتيروداكتيلات تحلق فوقهم كأنها موجهة. السور صمد في البداية. الألغام الاهتزازية أسقطت الموجة الأولى. أيمن على المنصة أسقط اثنين من التيروداكتيلات وثلاثة مقاتلين. عمر ونانسي كانا يطلقان النار بدقة من خلف السور.

ثم اخترق الجزء الغربي.

ديناصور كبير تجاوز الخندق جزئيًا وهدم مترين من الحجارة. تدفق المهاجمون من الفتحة. تحول القتال إلى مسافة صفر. أيمن نزل من المنصة وقاتل بالسلاح الأبيض والمسدس معًا. عمر أصيب بجرح عميق في فخذه لكنه استمر. نانسي كانت تتحرك بين المواقع تحمل الذخيرة وتطلق النار عندما تحتاج.

في لحظة حرجة ظهر المخلوق الهجين الكبير من جهة البركة مع الصغير خلفه. هاجم أحد التيرانوصورات من الجانب وأسقطه في الخندق. لم يكن حليفًا معلنًا... لكنه غيّر المعادلة لدقيقة كاملة كافية لأيمن ليغلق الفتحة مؤقتًا بجثة وج الحجارة.

استمرت المعركة أكثر من ساعة. عندما انسحب المهاجمون أخيرًا، كانت القاعدة خرابًا داميًا. ثلاثة من المهاجمين قتلى داخل السور، واثنان من الديناصورات، وجرحى كثر من الطرفين. أيمن كان ينزف من جروح متعددة. عمر لا يستطيع الوقوف دون سند. نانسي جبينها مغطى بالدم من شظية حجر.

لكنهم كانوا ما زالوا على الهضبة.

السور لم يسقط بالكامل.

وهم لم يُمسحوا.

بعد ساعات، في مكانين وزمنين مختلفين، كان الناجون يجلسون وسط الدمار.

في 2099: الثلاثة في مركبة هاربة، كريم يفقد وعيه من النزيف، وعمر يقود، وشريف ينظر إلى الخلف حيث كان الدخان ما يزال يتصاعد من المجمع.

في 2412: الثلاثة وسط السور المهدم جزئيًا، يضمّد أحدهم جراح الآخر، والهجينات تجلس على مسافة قريبة تراقب في صمت غريب.

العاصفة

كانت قد ضربت

من الجهتين.

والثمن

كان يُدفع

الآن.

هل ننتقل إلى الفصل الحادي والعشرين؟

الفصل الحادي والعشرون

بعد العاصفة

(خط شريف – 2099)

نجوا... بالكاد.

بعد ساعة من القيادة الجنونية عبر طرق فرعية، توقفوا داخل مستودع مهجور آخر أبعد من المدينة. كريم كان فاقدًا للوعي من فقدان الدم. عمر شق قميصه وحاول إيقاف النزيف في الكتف بينما شريف يحرس الباب بمسدس الطاقة الذي بقي فيه شحنات قليلة.

بعد أن استقر النزيف نسبيًا واستعاد كريم وعيه المتقطع، جلس الثلاثة في الظلام يستمعون إلى صفارات بعيدة ومسيّرات تمر فوق المنطقة.

قال عمر وهو يمسح الدم عن يديه:

ـ الانفجار حدث. رأيت الجناح ينهار جزئيًا.

لكننا لا نعرف بعد إن كان الضرر كافياً لإيقاف الموقع البديل... أو إن كان قد سرّع شيءًا أسوأ.

شريف كان يحدق في الصورة الباهتة لأمه التي ما زالت في جيبه.

ـ التموجات... أشعر بها أضعف قليلاً الآن.

كأن شيئًا ما انقطع أو تراجع.

لكن الصداع ما زال هنا.

كريم فتح عينيه بصعوبة وابتسم ابتسامة مكسورة:

ـ إذا متُ... فليكن بعد أن أعرف إن كنا فعلنا شيئًا يستحق.

راقبوا الأخبار إن استطعتم.

وإذا جاءوا... اتركوني. أنا الأبطأ الآن.

عمر هز رأسه بعناد.

ـ لا نترك أحدًا.

نتحرك عند الغروب إلى مكان أبعد.

وننتظر.

إما أن نسمع أن المشروع توقف... أو أن العاصفة التي أطلقناها لم تنتهِ بعد.

(خط الباقين – 2412)

على الهضبة كان الصباح رماديًا وثقيلًا بالدخان ورائحة الدم.

قضوا ساعات في إغلاق الثغرات في السور بجثث الديناصورات والحجارة المتساقطة. نانسي عالجت الجروح بأقصى ما تستطيع من المخزون الطبي المتبقي. جرح عمر في الفخذ كان عميقًا لكنه لم يقطع شريانًا رئيسيًا. أيمن كان مليئًا بخدوش وطعنة في جنبه، لكنه رفض الاستلقاء إلا بعد أن تأكد أن المحيط آمن نسبيًا.

الهجينات بقيت على مسافة قريبة طوال الوقت. المخلوق الكبير اقترب مرة حتى حافة الخندق ونظر إلى نانسي مباشرة، ثم أصدر صوتًا منخفضًا قصيرًا قبل أن يعود إلى الصغير.

في الظهيرة ظهرت سارا وريا وحدهما. وقفتا خارج مدى الرماية ورفعتا الأيدي. عندما سمح لهما بالاقتراب، نظرتا إلى الدمار والجرحى دون كلام كثير.

قالت سارا أخيرًا:

ـ قبائل الشمال انسحبت... لكنهم لم ينكسروا.

سيعودون عندما يشفون جرحاهم.

أنتم... دفعتم ثمنًا كبيرًا للبقاء على هذه الهضبة.

ريا نظرت إلى أيمن الجريح وأضافت بصوت خشن:

ـ بعضنا أحضر أعشابًا للجروح.
خذوها.
لا نريد أن تموتوا اليوم... بعدما قتلتم هذا العدد.

تركتا السلال وانسحبتا بسرعة.

بعد أن عالجوا الجروح بالأعشاب الجديدة، جلس الثلاثة داخل ما تبقى من المنطقة الآمنة.

نانسي قالت وهي تنظر إلى السماء الرمادية:

ـ التموجات... أشعر أنها أضعف منذ ساعات.
كأن شيئًا ما حدث هناك.

عمر أمسك يدها وقال بصوت ضعيف من الألم وفقدان الدم:

ـ إذن ربما نجحوا... أو فشلوا بطريقة مختلفة.
في الحالتين... نحن ما زلنا هنا.
وهذا ما نملكه الآن.

أيمن كان يستند إلى جدار السور المهدم جزئيًا وأغمض عينيه للحظة.

ـ نصلح.
نأكل.
ننام بالتناوب.

وإذا جاؤوا مرة أخرى... نكون مستعدين أو نكون قد رحلنا إلى الكهوف.

العاصفة مرت.

لكن الموسم...

لم ينتهِ بعد.

خارج السور بدأت الهجينات تتحرك ببطء نحو الغابة، تلتفت بين الحين والآخر كأنها تتأكد أن الثلاثة ما زالوا على قيد الحياة.

وداخل السور كان الناجون الثلاثة يضمّد أحدهم جراح الآخر في صمت...

وهم يعلمون أن بعد العاصفة

يأتي الحساب

ثم

القرار

عما إذا كان البقاء

ما زال ممكنًا

أم أن الثمن

صار أعلى

من القدرة

على الدفع.

هل ننتقل إلى الفصل الثاني والعشرين؟

الفصل الثاني والعشرون

الحساب

(خط شريف – 2099)

بعد ثلاثة أيام من الاختباء والتنقل الليلي، وصلت الأخبار الأولى المؤكدة.

كريم — رغم ضعفه — تمكن من اعتراض بثوث مشفرة وتقارير أولية مسربة. الانفجار في قسم التموج سبب أضرارًا بالغة في المولدات الثانوية وأرشيف البيانات الرئيسي. الموقع البديل توقف عن التجارب مؤقتًا بسبب فقدان المعادلات الأساسية والتغذية الطاقية. التحقيق الدولي تضاعف ضغطه. عدة حكومات أعلنت انسحابها النهائي من المشروع.

لكن الثمن كان واضحًا أيضًا: حملة أمنية غير مسبوقة. صورهم الثلاثة في كل مكان. وحدات خاصة تمسح المناطق الطرفية واحدة تلو الأخرى. وكريم كان يزداد ضعفًا مع كل ساعة.

في قبو جديد تحت جسر مهجور، جلسوا يراجعون الخيارات المتبقية.

قال عمر الشاب وهو ينظر إلى شريف:

ـ نجحنا في تأخيرهم... وربما أكثر من تأخير.

لكننا صرنا مطاردين بلا ملجأ حقيقي.

وكريم يحتاج علاجًا لن نستطيع توفيره ونحن نركض.

شريف كان يشعر أن التموجات صارت نادرة وضعيفة جدًا منذ الانفجار. الصداع خفّ. كأنه قطع شريانًا كان يغذي الصدع.

ـ إذا هدأت التموجات حقًا... فقد أغلقنا الجسر من جهتنا دون قصد.

قد لا أستطيع سماعهم مرة أخرى.

وقد يكون هذا هو الثمن: أن أنقذ الخط الزمني... وأخسر صوتي الأخير مع عائلتي.

كريم فتح عينيه بصعوبة وابتسم ابتسامة دامية:

ـ إذن الحساب واضح.

المشروع يحتضر.

ونحن أيضًا قد نحتضر قريبًا.

اختاروا: تتركوني وتذهبون أبعد... أو نبحث عن تسليم مشروط لجهة دولية قبل أن تقتلنا وحدات الدولة المضيفة.

عمر أمسك يد كريم وقال بثبات:

ـ لا نترك أحدًا.

نبحث عن طريق آخر.

حتى لو كان ضيقًا جدًا.

(خط الباقين – 2412)

بعد أسبوع من الهجوم الكبير، استقرت القاعدة نسبيًا.

السور أُصلح بما يكفي للصمود أمام هجوم متوسط. الجروح بدأت تلتئم بفضل الأعشاب والرعاية. التموجات صارت نادرة وضعيفة، تمامًا كما شعروا في الأيام الأولى بعد انفجار أدونيس المعاكس. السماء الرمادية بدأت تفتح قليلاً في بعض الساعات.

في ليلة هادئة حاولوا فتح الاتصال للمرة الأولى منذ العاصفة.

الجسر لم ينفتح.

حاولوا مرة ثانية في الليلة التالية.

لا شيء. فقط صداع خفيف ثم صمت.

جلست نانسي عند السور بعد المحاولة الثانية، تنظر إلى الهواء الفارغ. قالت بصوت منخفض:

ـ إما أنهم نجحوا وأغلقوا الشيء الذي كان يربطنا…

أو أنهم… لم يعودوا قادرين على الإجابة.

عمر جلس إلى جوارها. كان ما يزال يعرج قليلاً.

ـ في الحالتين… هم دفعوا ثمنًا.

ونحن دفعنا.

الآن علينا أن نقرر كيف نعيش بعد الحساب.

أيمن كان يقف على المنصة يراقب الأفق وقال دون أن يلتفت:

ـ قبائل الشمال لم تظهر منذ أيام.

الهجينات عادت إلى سلوك أكثر طبيعية.

السماء تتحسن.

ربما اشترينا وقتًا.

علينا أن نستخدمه لنبني... أو لنرحل إلى مكان أفضل قبل أن يعود الشتاء أو يعود الأعداء.

في الصباح التالي جاءت سارا وحدها. وقفت على المسافة الآمنة ونظرت إلى السور المُصلح ثم إلى عمر. لم تتكلم كثيرًا. فقط قالت:

ـ الغضب في الشمال هدأ... مؤقتًا.

السماء صارت أقل غضبًا أيضًا.

أنتم... بقيتم.

هذا يُحسب لكم عند بعضنا.

ثم تركت سلة صغيرة من الجذور والأعشاب وانسحبت.

نانسي راقبتها تختفي ثم التفت إلى أبيها وأيمن.

ـ إذن الحساب انتهى لهذه الجولة.

شريف... إما أغلق الباب خلفه ليحمينا، أو دفع ثمنًا لا نعرفه بعد.

ونحن هنا.

علينا أن نختار: هل هذه الهضبة هي بيتنا النهائي... أم مجرد محطة؟

الصمت الذي أعقب السؤال كان مختلفًا هذه المرة.

لم يعد صمت الخوف فقط.

بل صمت من يعرف أن العاصفة مرت...

وأن ما يأتي بعدها

يحتاج إلى قرار

أهدأ

وأثقل

من أي طلقة نارية.

هل ننتقل إلى الفصل الثالث والعشرين (بداية الحسم)؟

الفصل الثالث والعشرون

القرار الأخير

(خط شريف – 2099)

بعد أسبوعين من الانفجار، صار الوضع أوضح... وأضيق.

التقارير المسربة أكدت أن مشروع أورفيوس الرسمي توقف فعليًا. الموقع البديل أُغلق تحت ضغط دولي وتحقيقات متداخلة. المعادلات الأساسية فُقدت أو تضررت بما يكفي لجعل أي إعادة بناء تحتاج سنوات إن لم تكن عقودًا. التموجات الزمنية التي كانوا يسجلونها اختفت تقريبًا من أجهزة الرصد.

لكن المطاردة لم تختفِ.

في مخبأهم الأخير تحت أنقاض مصنع قديم، كان كريم أضعف من أن يتحرك بسرعة. الحمى بدأت. عمر وشريف كانا يعرفان أن الوقت ينفد.

جلس الثلاثة في الليلة الماطرة. الصوت الوحيد كان قطرات الماء تتسرب من السقف.

قال عمر بصوت هادئ:

ـ خياران متبقيان.

الأول: نحاول الوصول إلى سفارة أو جهة دولية ونسلم أنفسنا مقابل حماية وشهادة علنية. قد نعيش... أو قد نُسلَّم لاحقًا.

الثاني: نختفِ تمامًا. نفصل بعضنا عن بعض، نحرق كل أثر، ونعيش كأشباح لبقية حياتنا. كريم قد لا يصمد في الخيار الثاني.

كريم كان مستلقيًا، عيناه نصف مغمضتين، لكنه ابتسم بضعف:

ـ أنا اخترت منذ أن سرّبت الملف الأول.

لا أريد أن أموت في حفرة وأنا أركض.

سلموني إن لزم. اروا القصة.

هذا يكفي.

شريف نظر إلى الصورة الباهتة لأمه ثم إلى أبيه الشاب.

ـ أنا جئت لأوقف المشروع.

وقد توقف... أو تأخر بما يكفي ليعطي العالم فرصة مختلفة.

إذا كان ثمَن ذلك أن أُقبض أو أموت هنا... فأنا مستعد.

لكنني أريد أن أعرف شيئًا واحدًا قبل النهاية: هل أغلقنا الجسر إلى الأبد؟ هل هم بأمان هناك؟

عمر وضع يده على كتف شريف.

ـ التموجات صارت نادرة جدًا وضعيفة.

ربما نعم.

ربما دفعنا ثمن إغلاقه من جهتنا.

الآن... نقرر كيف ننهي قصتنا نحن.

بعد صمت طويل قالوا الثلاثة القرار نفسه تقريبًا: يحاولون الوصول إلى جهة دولية محايدة قبل أن تقتلهم الوحدات المحلية أو الحمى.

يحملون ما تبقى من الأدلة.

ويروون كل شيء.

(خط الباقين – 2412)

على الهضبة انتهت العاصفة منذ أسابيع، وبدأ الخريف يلمس الأشجار.

التموجات لم تعد تأتي. السماء استعادت جزءًا من زرقتها في بعض الأيام. الهجينات عادت إلى نمط أبعد، تظهر بين الحين والآخر دون الإقامة الليلية الطويلة. قبائل الشمال اختفت من التلال المحيطة.

في مساء هادئ جلس الثلاثة حول النار داخل السور المُصلح.

نانسي قالت وهي تنظر إلى الجمر:

ـ الباب أغلق.

أشعر بذلك.

إما أنهم نجحوا وأغلقوه خلفهم... أو أن الثمن كان أعلى مما نعرف.

في الحالتين... شريف لم يعد يستطيع أن يصل إلينا، ونحن لا نستطيع أن نصل إليه.

عمر كان يمسك القلادة العظمية بين أصابعه. قال بهدوء:

ـ إذن انتهى الجزء الذي كنا نعيش فيه على أمل الصوت القادم من الجانب الآخر.

الآن علينا أن نعيش هنا... كأن هذا هو العالم الوحيد المتبقي لنا.

لأنها الحقيقة على الأرجح.

أيمن رمى عودًا في النار وقال بواقعية:

ـ الهضبة صارت قابلة للدفاع أفضل من قبل.
نعرف الأرض أكثر.
عندنا هدنة باردة مع أقرب قبيلة.
وعندنا ثلاثة أشخاص يعرفون كيف يبقون على قيد الحياة.
نستطيع أن نبني هنا... أو نبحث عن مكان أفضل قبل الشتاء.
لكن القرار يجب أن يكون واضحًا: هل نعتبر هذا بيتنا... أم محطة أخرى؟

نانسي رفعت رأسها. كانت عيناها هادئتين هذه المرة، بلا دموع.

ـ أنا أصوت للبقاء الآن.
نبني.
نتعلم.
نحاول أن نجعل هذه الهضبة شيئًا أكثر من مجرد قاعدة ناجين.
وإذا جاء يوم وفُتح باب آخر... سنقرر حينها.
أما الآن... فنعيش.

عمر أومأ ببطء.
أيمن أومأ أيضًا بعد لحظة.

القرار الأخير
اتُخذ
في صمت
حول نار صغيرة
تحت سماء بدأت تتعافى.
ولم يعد هناك
جسر مفتوح
ولا صوت قادم

من زمن آخر.

فقط ثلاثة أشخاص

وجدران حجرية

وعالم

صار ملكهم الوحيد

الآن.

هل ننتقل إلى الفصل الرابع والعشرين (نهاية الجزء الثاني أو الحسم النهائي)؟

الفصل الرابع والعشرون (النسخة المعدّلة)

ما بقي

(خط شريف – 2099)

بعد أحد عشر يومًا من القرار، وصلوا إلى أطراف منطقة سيطرة قوة دولية محايدة.

الرحلة الأخيرة كانت بطيئة ومؤلمة. كريم كان يُحمل بين عمر وشريف معظم الوقت. الحمى لم تتوقف. عندما ظهر السياج الأول ونقاط التفتيش التابعة للجنة التحقيق الدولية، رفعوا أيديهم وأظهروا ما تبقى من الملفات والأدلة.

تم احتجازهم فورًا. فُصلوا. خضعوا لاستجوابات طويلة منفصلة.

لكن القصة صمدت. التواريخ، التسجيلات، الأضرار في المجمع، والشهادات المتطابقة جعلت الإنكار صعبًا.

بعد أسابيع نُقل كريم إلى مستشفى آمن تحت حماية دولية. نجا.

عمر الشاب قُدّم كشاهد رئيسي وتعاون مع لجان متعددة.

أما شريف... فقد بقي الحالة الأكثر غموضًا. لم يستطيعوا تفسير وجوده ولا القراءات الطيفية القديمة المرتبطة به. في النهاية صُنّف كـ«شاهد محمي ذو وضع خاص» وأُبقي تحت مراقبة مشددة لكن إنسانية نسبيًا.

في إحدى الليالي، بعد أشهر من التحقيقات، سُمح لعمر الشاب بزيارة قصيرة لشريف في غرفته الآمنة.

جلس الاثنان مقابل بعضهما. الوقت كان قد ترك أثره على الوجهين.

قال عمر بهدوء:

ـ المشروع مات رسميًا.
كل المواقع أُغلقت. المعادلات الرئيسية فُقدت أو حُظرت دوليًا.
العالم أخذ فرصة ثانية... بفضلك إلى حد كبير.

شريف ابتسم ابتسامة متعبة.

ـ وبفضلك أنت وكريم.
أنا فقط حملت الرسالة.

صمتا. ثم أضاف شريف بصوت أخفض:

ـ هل... تشعر بهم أحيانًا؟
حتى لو كان الجسر مغلقًا؟

عمر نظر إلى النافذة المغلقة.

ـ أحيانًا في الحلم.
هضبة. سور. نار.
وجه نانسي.
ثم أستيقظ.
أتمنى أن يكونوا قد وجدوا طريقة للعيش... ووجدوا من يشاركهم هذا العيش.

شريف أخرج الصورة الباهتة لأمه ومدها إليه.

ـ أعدتها إليك كما وعدتك.

الآن... كلٌّ منا يكمل الطريق الذي بقي له.

عندما خرج عمر من الغرفة، توقف عند الباب ونظر مرة أخيرة إلى الشاب الذي كان ابنه في زمن آخر... وربما كان ابنه الحقيقي في كل الأزمنة.

ثم أغلق الباب خلفه.

(خط الباقين – 2412)

مرّ عام كامل على العاصفة الأخيرة.

الهضبة تغيّرت.

السور صار جزءًا من جدار أوسع يضم منطقة زراعة صغيرة وحظيرة بدائية. نانسي طوّرت تواصلًا أكثر استقرارًا مع جيل جديد من الهجينات. أيمن درّب مجموعة صغيرة من شباب القبيلة المتحالفة على أساليب دفاع مشتركة. عمر صار يقضي وقتًا أطول في توثيق كل ما يعرفونه عن العالمين.

وفي هذا العام نفسه، تغيّر شيء آخر بهدوء وثبات.

سارا لم تعد تزور فقط. صارت تبقى.

في البداية أيامًا، ثم أسابيع، ثم أصبح لها مكان واضح داخل السور إلى جانب عمر. صارت تساعد في الزراعة وفي علاج الجروح بالأعشاب، وتنام إلى جواره في الليالي الباردة. لم يحتج الأمر إلى كلام كثير أو طقوس معقدة. في عرف القبيلة، وعرف من يعيشون على حافة الموت يوميًا، كانت المشاركة في السور والفراش والنار تعني ما تعنيه كلمة «زوجة» في عالم أقدم. عمر قبلها كما قبلته. صارا زوجين في كل شيء إلا الأوراق التي لم تعد موجودة.

ريا سلكت الطريق نفسه مع أيمن، لكن بطريقتها. كانت تأتي وتذهب في البداية، ثم توقفت عن الذهاب. صارت تقف إلى جانبه على منصة الحراسة، وتتدرب معه، وتنام في فراشه بعد المناوبات الطويلة. لم تطلب وعودًا، ولم يعطها أيمن وعودًا زائدة. فقط صارا اثنين بدل واحد في مواجهة الليل والوحوش والشتاء. وفي نظر القبيلة ونظر القاعدة الصغيرة، صارت زوجته.

في مساء خريفي هادئ، جلس الخمسة حول النار داخل السور الموسّع: عمر وسارا إلى جانب بعضهما، أيمن وريا متلاصقين في صمت مريح، ونانسي تحدق في الجمر كعادتها.

نانسي قالت وهي ترسم دائرة صغيرة بعود في الرماد:

ـ أحيانًا ما زلت أنتظر أن ينفتح الهواء.

أن أسمع صوته مرة أخيرة.

ثم أتذكر أنه أغلق الباب... وربما كان هذا آخر هدية قدمها لنا.

عمر وضع ذراعه حول كتف سارا وسحبها إليه قليلًا. قالت سارا بصوتها الخشن الهادئ:

ـ الرجل الذي ذهب... تركككم أحياء.

وتركككم قادرين على بناء شيء.

هذا كثير في هذا العالم.

أيمن كان يمرر أصابعه على شعر ريا القصير المرتبط بجلد، وقال بواقعية لم تعد قاسية كما كانت:

ـ الهضبة صارت أكبر من مجرد قاعدة.

صرنا خمسة.

وبعد الشتاء... ربما أكثر.

العالم ما زال يريد قتلنا كل يوم.

لكننا لم نعد نواجهه فرادى.

ريا أضافت جملة قصيرة من لغتها ثم ترجمتها سارا:

ـ النار أكبر عندما يكون حولها أكثر من جسد.

نانسي رفعت رأسها ونظرت إلى الوجوه الأربعة حولها. ابتسمت ابتسامة صغيرة حقيقية لأول مرة منذ وقت طويل.

ـ إذن نبقى.

نبني.

ونعيش بما بقي لنا.

وإذا فُتح باب يومًا ما... سنقرر حينها.

أما الآن... فهذا بيتنا.

رفعوا أعينهم معًا نحو السماء الصافية تلك الليلة.

لا تموجات.

لا ضوء غريب.

فقط نجوم بعيدة،

نار واحدة أكبر قليلًا،

وجدار حجري يحمي خمسة أشخاص

بدل ثلاثة،

وعالم قاسٍ

صاروا يعرفون كيف يشاركونه

الليل.

في مكان ما، في زمن آخر، كان شريف ينظر من نافذة غرفته الآمنة إلى سماء مختلفة...

ويأمل في صمت

أن تكون الهضبة

ما زالت صامدة،

وأن تكون النار

ما زالت مشتعلة،

وأن يكون من بقي

قد وجد

من يدفئ بهم

البقاء.

تمت الرواية.

(الجزء الثاني: الخطّان)

رأيي في مصير شريف:

المصير الحالي مناسب ومتسق مع نبرة الرواية:

- هو لم يَعُد إلى عائلته (الباب أُغلق من جهته بعد تدمير قدرات التموج).
- لم يمت بطريقة بطولية رخيصة.
- بقي «شاهدًا محميًا» في زمن 2099، يعيش تحت مراقبة، يحمل المعرفة والذنب والذكرى، ويعرف أن تضحيته أعطت العالم فرصة مختلفة وأعطت عائلته وقتًا للبناء.

هذا المصير مرير ونبيل في الوقت نفسه، ويحافظ على الثمن الذي دفعه الجميع.